

# أشهر قصص العشاق والمنيّمين

وطائف من رسائلهم وطرائفهم  
وتجاربههم الشعرية

محمد بن عبد الله بن  
عبد السلام

دار الطلائع  
للتنوير والتطوير

٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعي - ناصية امتداد مكرم عبيد  
وتسمير مركات - مدينة نصر القاهرة - فاكس ٢٤٨٠٤٨٣  
تليفون ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٧٤٤٦٤٢

# وكلاء التوزيع

## السعودية

الدار البيضاء : الرياض - حي عليشة - ٦٣ شارع أحد متفرع من شارع العريجا العام  
ص.ب : ٨٩٥٦٢ الرياض - تليفون : ٤٣٥٩٠٦٦ - ٤٣٤٠٣٥٠ - فاكس : ٤٣٥٥٧٠١

## المغرب

دار الاعتصام : 35/33 الممر الملكي - الأهراس - الدار البيضاء - ت : 30 42 85  
فاكس : 00 212 02 44 45 39

## الإمارات

دار الفضيحة : دبي - ديرة - ص.ب : ١٥٧٦٥ - ت : ٦٩٤٩٦٨ - فاكس : ٦٢١٢٧٦

## البحرين

دار الحكمة : ص.ب : ٢٣٨٧٥ - هاتف : ٣٣٦٠٣٢

## الجمهورية العربية الليبية

دار الفرجانى : ص.ب : ١٣٢ - هاتف : ٤٤٨٧٣ - ٦٠٤٤٣١ طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية

## فلسطين

مكتبة اليازجى : غزة - شارع الوحدة - فاكس : ٨٦٧٠٩٩ - ت : ٨٦١٨٩٢

## اليمن

مكتبة العامرية للنشر والتوزيع : صنعاء - الخط الدائرى الغربى  
ص.ب : ١٤٤٦٦ - ت : ٢٧٧١٦٨ - فاكس : ٢٦٧٢٦١

## الأردن

مؤسسة دار المعرفة للتوزيع : العبدلى - شارع الملك حسين  
هاتف وفاكس : ٤٦٥٤٦٩٢ ص.ب : ٨٤٠٢٤٥ عمان ١١١٨٤ الأردن

جميع حقوق الطبع محفوظة للناسخ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جاء فى «زهر الآداب» للحصّرى : «أن شيخا بخراسان كان يعلم طلابه الحكمة ، فكان يسألهم بين الحين والحين :

- أفيكم عاشق ؟

فإذا قالوا : لا ، قال لهم :

\* اعشقوا ، فإن العشق يُطلق الغبى !

\* ويفتح جبلة البليد !

\* ويُسخى البخيل !

\* ويبعث على النظافة ، وحسن الهيئة !

\* ويدعو إلى الحركة والذكاء وشرف الهمة !

\* وإياكم والحرام ! .

وهذا ما نهدف إليه من معايشة «العشاق والمتيمين»<sup>(١)</sup> ، بعد أن كاد الحب يختفى من حياتنا أمام مشاعر الكراهية والحقد والعنف ! فلا علينا إن نحن عرضنا تلك النماذج العفيفة الشريفة التى ظلت على الأيام سناء وسنى ! ولقد عشق أكثر العرب ، بل جلهم قد عشق إن لم يكن كلهم ، وأما من عشق من الشعراء ، فما يحصرهم عدد ، ولا يُحصيهم أحد ! وها هو ذا كتابنا : «أشهر قصص العشاق والمتيمين» يضم خمسة أبواب ومقدمة .

أما المقدمة فهى تسلط الأضواء على الهوى ، وحقيقة ما يلقاه المحبون ، والسبب فى العشق ؛ أهو العين أم القلب ؟

ويتضمن الباب الأول : عددا من المشتهرين بالصبوة والغزل ، ومتابعتهم فى مسيرة حُبهم ، وسوف تجد أن لكل أقصوصة من الأقاصيص الغرامية مذاقا

(١) جمع مُتَيِّم ؛ يقال : تَيَّمه الهوى أو الحبيب : ذهب بعقله !

خاصًا ؛ فهي تصور لونا مختلفا من أهواء القلوب ، وأوطار النفوس (١) .  
ويحمل الباب الثانى : أعجبَ قَصص الحب ، أما الباب الثالث ، فقد تضمن  
أروعَ ما تبادلته المحبون من رسائل وشعارات حُلوة تبعث البهجة والسرور !  
ويأتى الباب الرابع ليقدم لنا أحلى ما يُروى عن المحبين من طرائف تمتع  
النفس ، وتسّر الخاطر .

ويأتى الباب الخامس ليكون مسك الختام حيث نقف فيه وقفة مع أصدق  
التجارب التى مر بها المحبون ! ، والتى لخصها ابن الرومى فى قوله :  
فالموت إن نظرتُ ، وإن هى أعرضتُ  
وقع السُّهُم ونزعُهن أليمُ !  
وبعد ، فعسائى أن أكون قد وُفقت فيما اخترت .  
وعساک أن ترضى بما قدمته ، وأقدمه لك بين الحين والحين !  
فإلى الملتقى ...

محمد إبراهيم سليم

القاهرة : فى شهر المحرم ١٤١٩ هـ  
الموافق شهر مايو ١٩٩٨ م

(١) جمع وطر ، وهو الحاجة فيها مأرب وهمة ، وقضى وطره : أى بغيته .

## بين يدي الحب ! سؤال عن الهوى والرأى مختلف !

سَلْنِي عَنِ الْحُبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ  
مَا أَطِيبَ الْحُبِّ لَوْلَا أَنَّهُ نَكَدٌ (\*)

### سؤال عن الهوى

سئلت أعرابية عن «الهوى» فقالت :

الهَوَى : هُوَ «الهُوَانُ» وَإِنَّمَا غُلِطَ بِاسْمِهِ ، وَلَنْ يَعْرِفَ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ أَبْكَتَهُ  
الْمَنَازِلُ وَالطُّلُولُ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

لَيْتَ الْهَوَى لَدَوَى الْهَوَى لَمْ يُخْلَقِ      بَلْ لَيْتَ قَلْبِي بِالْهَوَى لَمْ يَعْلَقِ  
إِنَّ الْهَوَى لَهُوَ الْهَوَانُ بَعِينُهُ      مَاذَاقَ طَعْمِ الذَّلِّ مَنْ لَمْ يَعُشَقِ

### وللكميت بن زيد رأى !

فَمَعَ مَا فِي الْحُبِّ مِنَ الْمَرَارَةِ وَالنَّكَدِ ، وَطُولِ الْحَسِرَاتِ وَالْكَمَدِ ، فَهُوَ  
مُسْتَعْذِبٌ عِنْدَ أَرْيَابِهِ ، مُسْتَحْسَنٌ عِنْدَ أَصْحَابِهِ ، حُلُوٌّ لَا تَعْدِلُهُ حَلَاوَةٌ ، وَمُرٌّ لَا  
تَعْدِلُهُ مَرَارَةٌ ، وَهَكَذَا يَرَاهُ الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ فَيَقُولُ :

الْحُبُّ فِيهِ حَلَاوَةٌ وَمَرَارَةٌ      سَأَائِلٌ مِنْ تَطَاعَمٍ أَوْ ذَقِ  
مَاذَاقَ بؤْسِ مَعِيشَةٍ وَنَعِيمِهَا      فَيَمَا مَضَى أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعُشَقِ

### ولأحمد بن يحيى ثعلب رأى

إِنَّهُ رَأَى خَبِيرٌ يُخْبِرُ بِهِ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ الْحُبَّ فَيَقُولُ :

سَلْنِي عَنِ الْحُبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ      مَا أَطِيبَ الْحُبِّ لَوْلَا أَنَّهُ نَكَدٌ  
طَعْمَانٌ : حُلُوٌّ وَمُرٌّ لَيْسَ يَعْدِلُ لَهُ      فِي حَلْقِ ذَائِقِهِ مُرٌّ وَلَا شَهْدٌ!

(\*) النكد : كل شيء جَرَّ عَلَى صَاحِبِهِ شَرًا .

(١) الطُّلُولُ ، وَالْأَطْلَالُ : جَمْعُ طَلَّلَ ، وَهُوَ مَا بَقِيَ شَاخِصًا مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ ، وَكَمْ بَكَى الْمَحْبُونُ عَلَى  
أَطْلَالٍ مِنْ كَانُوا يَحْبُونُ !

## \*\* نظرة السابقين إلى العشق \*\*

ويُجيب «الإمام ابن سيرين» عما يدور في نفوسنا عن الحب والعشق من تساؤلات فيقول :

«كانوا لا يروون بالعشق بأساً في غير ربيبة».

## \*\* ونظرة الآباء إلى عشق الأبناء ! \*\*

قيل لأحد البصريين : إن ابنك عشق !

فقال : وما بأسٌ به !

إذا عشق نطفَ ، وظرفَ ، ولطفَ ألم تسمع قول الشاعر :

وما الناسُ إلا العاشِقون ذُوو الهَوَى

ولا خيرَ فيمن لا يُحبُّ ويعشِقُ !

وقال آخر :

ألم تَعْلَم - فإِذْ ذاكَ أبى وأُمى

- بأنِ الحُبِّ من شِيمِ الكرامِ !

## \*\* حقيقة العشق \*\*

ولقد اجتمع عند «يحيى بن خالد البرمكي» جماعة من أرياب الكلام ، فسألهم عن «حقيقة العشق» ، فتكلّم كل واحد منهم بشيء .

وكان «أبو الهذيل بن العلاف» في جملتهم ، فقال : أيها الوزير :

العشق يخبث على النواظر ، ويطبّع على الأفئدة ، مرتّع في الأجسام ، ومشرّع في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متقن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو!

تسرّع إليه النوائب ، وهو جرعة من نقيع الموت ، ونقعة من حياض الثكل ! .  
غير أنه من أريحية تكون في الطبع ، وحلاوة توجد في الشمائل ، وصاحبه جواد لا يصفى إلى داعية المنع ، ولا يصيخ لناع العزل .

## \*\* وللطرف الثاني رأى \*\*

وها هي ذى أعرابية أحبت ، وتصف لنا العشق فتقول :  
خَفِيَ عَنِّي أَنَّ يُرَى ، وَجَلَّ عَنِّي أَن يَخْفَى ، فهو كامنٌ كُموِنَ النارِ فى الحجر !  
إن قدحتَه أَوْزَى ، وإن تركته تَوَارَى ، وإن لم يكن « شُعْبَةً مِنَ الْجُنُونِ ، فهو  
عُصَاةُ السَّحَرِ !  
فما رأيك ؟ وما أكثرَ الآراءِ !! فتعال نتابع مُخْتَلَفَ الآراءِ لنحكم لها أو  
عليها !

## \*\* رأى فى الحب لعالم صالح \*\*

مما كان يُنشدُه لبعضهم «أبو المعالى مسعود بن محمد» الملقب «قطب  
الدين» ، وكان عالماً صالحاً :  
يقولون : إن الحبُّ كالنارِ فى الحَشَا  
أَلَا كَذَبُوا ؛ فالنارُ تذكو (١) وتخمُدُ  
وما هو إلا جَدْوَةٌ مَسَّ عُوْدَهَا  
ندى ؛ فهى لا تخبو ، ولا تتوقدُ !

## \*\* هل يذبلُ عُشبُ الأشواقِ ؟ \*\*

والشاعر المشهور «أبو جعفر البياضى» له ديوان شعر صغير فى غاية  
الحسن والرقّة جاء فيه :

كيف يذوى عُشبُ أشوا  
قى ولى طَرْفٌ (٢) مطيرٌ ؟  
إن يكن فى العِشْقِ حُرٌّ  
فأنا العبدُ الأسيرُ  
أو على الحُسْنِ زكَاةٌ  
فأنا ذاك الفَقِيرُ !

(١) تذكو : تتوقد وتزداد اشتعالاً . (٢) الطرف المطير : العين الباكية السّحابة .

## ★★ السبب في الحب : العين أم القلب ؟★★

ونَحَارُ كثيراً في تحديد المسئولية ، والمسئول عن الحب ؛ أهو القلب أم العين ؟

«وأبو علي محمد بن المستنير» المعروف بِقَطْرُبِ النحوى كان معلم أولاد «أبي دُلْفِ العَجَلِي» ، وروى له «ابن المنجم» فى كتاب «البارع» بيتين لطيفين فيهما الإجابة ، وهما :

إن كنتَ لستَ معى فالذِكرُ منك معى  
يراك قلبى إذا ما غِبتَ عن بصرى  
والعينُ تُبصرُ مَنْ تهوى وتُفقدُه  
وياطنُ القلبُ لا يخلو من النظر!

ويدور بين العين والقلب حوار يحمل اتهام كل منهما لغيره ، وإيقاع المسئولية عليه ، ومن عجب أن الكبد تَفْصِلُ بينهما في ذاك الحوار ، فتعال إلى هذا الحوار الممتع .

## ★★ حوار بين العين والقلب !★★

من طرائف المحبين ذلك الحوار بين القلب والعين .  
القلب : يعتب على العين أنها جَرَّتْ عليه الويل !  
والعين : تَعْتَبُ عليه أنه هو الذى دفعها إلى النظر بما أمَلَّ وطمع !  
فماذا قالَا ؟ وماذا قالت لهما «الكبد» بعد أن تقطعت ؟  
يقول قلبى لطرفى (١) إذ بكى جزعاً  
تبكى وأنت الذى حَمَلْتَنِى الوجعاً  
حتى إذا ما خَلَا كلُّ بِصَاحِبِهِ  
كِلَاهُمَا بطويل السُّقْمِ قد قَنِعَا

نادهما كَبِدِي لا تَتَّعِبَا فَلَئِن  
قَطَعْتُمَانِي بما لاقيتما قِطْعَا

ويجرنا هذا الحوار إلى معرفة المزيد عن العين .  
(١) الطرف : العين .

## ★★ وآه من العيون!! ★★

لعل أجملَ الأحياءَ الإنسان !

ولعل أجملَ ما فيه عيناه !

وكما يقول الدكتور «أحمد أمين» رحمة الله عليه ! :

إذا كان لكل شيءٍ خُلاصة ، فخلاصةُ الإنسان عينه ، هي مستودعُ سرِّه ،  
وهي النافذة التي يُطلُّ منها غيره على ما فى أعماق نفسه ، وهى التّرجمان  
الذى يعبرُ أصدق تعبير عما يجول فى نفسه من عواطف ؛ تَعِد ، وتُوعِد ،  
وترغّب ، وترهّب !

ومن الطرائف تشبيهات العين ؛ فمنهم من شبهها بالسهم وشبّه فعلها  
بفعله .

\* ومنهم من يشبهها بالسيف ، أو بسنان الرمح !

\* ومنهم من يشبهها بالترجس لما فيها من الفتور الذى يسمونه المرض ،  
وهو مرض خير من ألف صحة ؛ كما قال ابن المعتز :

وَسَنَانٌ<sup>(١)</sup> قَدْ خَدَعَ النَّعَاسُ جُفُونَهُ

فَحَكَى بِمُقَلَّتِهِ ذُبُولَ النَّرْجِسِ

ويقول ابنُ عبّاد :

وَنَظَرُنَّ مِنْ خَلَلِ<sup>(٢)</sup> السُّتُورِ بِأَعْيُنِ

مَرَضَى يَخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحُ !

ومن المحبين من كان يُكثر من زرع «الترجس» فى حديقته حبا فى العيون

لأنه سمع قول ابن الرومى :

(١) الوسنان : من أخذ فى النوم . (٢) من خَلَلِ الستور : من خلالها ، ومن بينها ، ومن ورائها .

ما يفعلُ السحرُ بالأبوابِ في سنةِ

في الحالِ تفعُله الأحداقُ (١) والطُرُرُ

\* ومنهم من كانت تُحْييه نظرة ، وتُميتُهُ نظرة فيقول :

الوجهُ منك - عن الصَّوابِ - يُضِلُّني

وإذا ضَلَلْتُ فإنه يَهْدِينِي !

وتُمِيتُنِي الأُلْحاظُ منك بِنظرةِ

وإذا أردت ، بنظرةِ تُخَيِّبُنِي

\* ومنهم من اعترته حالة غريبة ، فكان يغار من عينيه أن تتمتعاً وحدهما

بالنظر إلى المحبوب ، فمنعهما النظر ، وفي ذلك يقول :

إني لأحْسُدُ ناظريَّ عَلَيْكَما

حتى أغضُّ إذا نظرتُ إِلَيْكَما

ومنهم من كان يَرِيأ أن ينظر بعينيه إلى عين من يحب ، لأنه لا يستحق هذا

الشرف !

قيل لبعضهم : أتحب أن ترى عيني محبوبك ؟

قال : لا .

قيل : ولم ؟

قال : أنزَّهُ عينيه عن عيون مثلي !

ولقد وضع العرب بيانا لما يستحسن في العين من الصفات ، وسموا كل نوع

من الجمال باسم :

فالعين الظمياء : جمالها في رقة جفنيها !

والعين النجلاء : جمالها في سَعَتِها !

والعين الحوراء : جمالها في شدة سوادها ، وشدة بياضها .

(١) الأحداق : جمع حدقة ، والطُرُر : جمع طُرَّة ، وهي القُصَّة : ما تُطَرِّه المرأة من الشعر الموفى على جبهتها ، وتصفِّفه .

والعين الدعاء : جمالها فى لونها وسعتها معاً لا

والسُّقْم غير محبب إلا فى العَيْنَيْنِ لا

وسُقْم العينين هو ذلك الفتور المحبب إلى المحبين فكثيرا ما يتحدثون عن

«مراض العيون»

ويقول المتنبى :

أعارنى سُقْمَ عَيْنِيهِ وَحَمَلْنِي

مِنَ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوَى مَا أَرْزُهُ

ويقول ابن المعتز :

ضَعِيفَةٌ أَجْفَانُهُ وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَاجِرٌ

كَأَنَّهَا أَلْحَاظُهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعَفَّتْ نِيرُ

ويقول آخر :

وَأَسَقَمْنِي حَتَّى كَأَنى جُفُونُ

وَإثْقَلْنِي حَتَّى كَأَنى رَوَادِفُ<sup>(١)</sup>

ويقول منصور بن الفرج :

حَلٌّ فِى جِسْمَى مَاكَأَن بَعَيْنَيْكَ مَقِيمَا

وَمَثْلُهُ لِلْبَحْتَرَى :

وَكَأَن فِى جِسْمَى الَّذِى

فِى نَاطِرِيكَ مِنَ السُّقْمِ

فتعال بعد هذه الجولة إلى الذين عَشِقَتْ عيونهم ، ورقت قلوبهم من أول

نظرة!! .. تعال إلى أشهر العشاق والمتيمين .

(١) الروادف والأرداف : جمع رَدَف ؛ مؤخر كل شئ ، والعَجَز (بضم الجيم) ، والكَفَل (بفتح الكاف والفاء) .

## الباب الأول

### مشاهير العشاق ومعشوقاتهم!

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى

ولا خيرَ فيمن لا يحب ويعشق!

\* تعيش في هذا الباب مع العشاق الآتية أسماؤهم

- ١- ابن رهيمة وزينب .
- ٢- ابن زيدون وولادة .
- ٣- أبو العتاهية وعتبة .
- ٤- أبو نواس وجنان .
- ٥- الأحوص وأم جعفر .
- ٦- توبة وليلي الأخيلية .
- ٧- بشار وعبدة .
- ٨- جميل وبثينة .
- ٩- ذو الرمة ومي .
- ١٠- عباس بن الأحنف وفوز .
- ١١- عبد الله بن علقمة وحبيشة .
- ١٢- عبد الله بن قيس ورقية .
- ١٣- عروة بن حزام وعفراء .
- ١٤- عنتر وعبله .
- ١٥- قيس بن الملوح وليلي .
- ١٦- قيس بن ذريح ولبنى .
- ١٧- كثير وعزة .
- ١٨- مزاحم وليلي .
- ١٩- نصيب وزينب .

## ١- ابن رُهَيْمَة وَزَيْنَب

ابن رُهَيْمَة من شعراء الغزل العفيف وإن كان أقل زملائه حظاً من اهتمام الرثوة ومؤرخي الأدب :

فكل ما ذكر عنه « أبو الفرج » : أنه كان يُشَبِّبُ بزَيْنَب بنت عكرمة بن عبد الرحمن فشاع أمره ، وفشا سره ، فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك ، فأمر بضربه خمسمائة سوط وأن يُبَاحَ دَمُهُ إن وُجِدَ قَدْ عادَ لذكرها ، فهرب ، ولَمَّا ولى الوليد عاد ، وقال ابن رُهَيْمَة :

إِنْ كُنْتُ أَطَرَدْتَنِي ظَالِمًا      لَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ مَا أَزْهَبُ  
وَلَوْنَلْتُ مِنْهُ مَا تَشْتَهِي      لَقَلَّ إِذَا رَضِيَتْ زَيْنَبُ  
وَمَا شِئْتُ فَاصْنَعْهُ بِي بَعْدَ ذَا      فَحُبِّي لَزَيْنَبٍ لَا يَذْهَبُ

\* والظاهر أن قلبه لم يَعْرِفِ الهوى إلا وهو كبير حيث يقول :

أَقْصَدْتُ زَيْنَبَ قَلْبِي بَعْدَ مَا  
ذَهَبَ الْبَطْلُ عَنِّي وَالغَزْلُ زَيْنُ (١)  
وَعَلَا الْمَفْرَقَ شَيْبًا شَامِلًا  
واضح في الراسِ مِنِّي واشْتَتَّ عَمَلُ

\* وكان ابن رُهَيْمَة صريحاً وصادقاً في حبه . فنراه يقول :

إِنَّمَا زَيْنَبُ هَمِّي      بِأَبِي تَلْكَ وَأُمِّي (٢)  
بِأَبِي زَيْنَبٍ لَا أَكْـ      نَى ، وَلَكِنِّي أَسْـمِي  
بِأَبِي زَيْنَبٍ مِنْ قـ      ضِ قَضَى عَمْدًا بِظُلْمِي  
بِأَبِي مِنْ لَيْسَ لِي فِي      قَلْبِهِ قِيْرَاطُ رُحْمِ

\* ويبدو أن قصة الحب هذه كانت من جانب واحد هو جانبه ، قال :

أَقْصَدْتُ زَيْنَبَ قَلْبِي      وَسَوَّيْتُ عَمَلِي وَنَبِي

(١) أقصده : أصابه فلم يخطئه . (٢) بأبي تلك وأمى : أفيديها بهما .

تركَتَنِي مُسْتَهَامًا      أَسْتَغِيثُ اللَّهَ رَبِّي  
ليس لي ذنبٌ إليها      فَتُجَازِينِي بِذَنْبِي  
ولها عندي ذنوبٌ      في تَنَائِيهَا (١) وَقُرْبِي !!

\* وقد أكد «ابن رهيمة» في إحدى مقطوعاته حبه الطاهر العفيف كما أكد  
طهر «زينب» وعفاها أيضا فيقول :

يا زينبُ الحسنة يا زينبُ      يا أكرمَ الناسِ إذا تُنَسَّبُ  
تَقِيكَ نَفْسِي حَادِثَاتِ الرَّدَى      وَالْأُمَّ تُفْذِيكَ مَعَا وَالْأَبُ  
هل لك في وُدِّ امرئٍ صادقٍ      لا يَمْدُقُ الوُدَّ ولا يَكْذِبُ (٢)  
لا يبتغي في وُدِّه محرماً      هيهاتَ منك العَمَلُ الأَزِيْبُ

\* ويؤكد حبه لها وشدة وجده بها فيقول :

فليت الذي يلحى على زينب المنى  
تَعَلُّقُهُ مِمَّا لَقِيَتْ عَاشِرُ (٣)  
فحسبى له بالعشر مِمَّا لَقِيَتْهُ  
وذلك فيما قد تراه يسير!!

(١) تنائيا : تباعدها .

(٢) مَدَّقَ الوُدَّ : أى لم يخلصه من باب نصر ، فهو مذاق ومماذق ، أى غير مخلص .

(٣) عَشِيرُ : عُشْرٌ ، وهو جزء من عشرة أجزاء مما يلاقيه ، وهو يدعو على من يلحاه ويلومه أن  
يطاله جزء من عشرة مما يلاقيه !

## ٢- ابن زيدون وولادة

كان ابن زيدون من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة ، وبرع أدبه ، وجاد شعره وعلا شأنه ، وانطلق لسانه ، ثم انتقل من «قرطبة» إلى المعتضد صاحب «أشبيلية» في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة فجعله من خواصه ، يجالسه في خلواته ، ويركن إلى إشارته ، وكان معه في صورة وزير .

وكانت ولادة - بنت المستكفي - تحظى بغير قليل من الحرية .

شأنها شأن المرأة الأندلسية مما هيا لها أن تعقد الندوات في دارها . وأتاح لها ذلك أن يتعلق بها بعض الشعراء فقد كانت تمتاز بقلب ذكي ، ولسان عذب فصيح ، كما كانت جميلة خلابة . وابن زيدون بلا ريب - هو أهم من أحبها حبا جامحاً ملك عليه مشاعره وعواطفه ، وقد بادلتها حبا بحب ، وسعدا بهذا الحب حيناً من الدهر ، ثم أخذت تجفوه و ما زالت ممعنة في جفوتها له حتى ذاق مرارة اليأس والحرمان إلى الأبد . إن قصة الحب العنيف بين ابن زيدون وولادة بنت المستكفي هي قصة لم تروها أرض الأندلس وسمائها فحسب ، ولكن روتها كل أرض عربية وشعره فيها يمثل هذه المراحل المتفاوتة

\* مرحلة يصور فيها نعيمة بالحب .

\* ومرحلة يصور فيها شقاء بناره المحرقة .

\* ومرحلة يصور فيها يأسه وبؤسه !!

## لقاء ووداع

\* والتقيا ، ثم كان وداع ، وفيه يقول :

وَدَعَّ الصَّبْرَ مَحَبُّاً وَدَعَكَ

حافظ من سرِّه ما استودعك

يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ

زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَا إِذْ شِيعَكَ

يا أخا البدر سناءً وسنى (١)

رحم الله زماناً أطلعك

### قصيدته النونية:

وهى من أروع قصائده فى مرحلة الجفوة والتئامى بعد التدانى وفيها يقول :

أضحى التئامى بديلاً من تدانينا

وناب عن طيبٍ لُقياناً تجافينا (٢)

بنتم وبننا فما ابتلت جوانحنا

شوقاً إليكم ، ولا جفت مآقينا (٣)

نكاذ حين تناجيكم ضمائرنا

يقضى علينا الأسى لولا تأسينا (٤)

حالت لفقدكم أيامنا ففدت

سوداً ، وكانت بكم بيضاً لياينا (٥)

ليسق عهدكم عهد السُرور فما

كنتم لأرواحنا إلا رياحيناً (٦)

ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا

من لو على البعد حيا كان يُحيينا (٧)

عليك منى سلام الله ما بقيت

صباة بك نخفيها فتخفيها (٨)

وهى كما نرى تحمل تباريح حب ابن زيدون وما كان يغص به من الهجر

والتئامى ، وإنها لأنفاس محب مهجور تحولت شعرا .

(١) السناء : بالهمزة (ممدوداً) العلو والارتفاع .

والسنا : (مقصوراً - غير ممدود) ضوء القمر ، والضوء الساطع .  
وفى القرآن الكريم : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور: ٤٣] .

(٢) التدانى ، وطيب اللقياعكس التئامى والتجافى والتباعد .

(٣) بنتم : بعدتم وبننا : بعدنا . وعدم ابتلال الجوانح وعدم جفاف المآقى (العيون) كناية عن اشتعال نار الحب والبكاء لبعد المحبوب .

(٤) التأسى : التسلى ، والتعزى ، والتصبر . (٥) حالت : تحولت وتغيرت .

(٦) ليسق : دعاءً بالسقيا على عادة العرب فالماء أغلى ما كان يتمناه العربى .

(٧) الصبا : ريح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار ، وهى ريح لطيفة يقال : إنها تحمل أنفاس المحبين .

(٨) الصباة : الشوق أو رفته وحرارته .

## ★★ عود إلى ولادة محبوبه ابن زيدون !★★

هى من أشهر أدبيات الأندلس بل أبرزهن جميعا في تاريخ الأدب العربى  
علمُ قرطبة المنير ، وشاعرتها الفاتنة ، وسيدة منتداهها الأدبى !

تتسب ولادة إلى عبد الرحمن الداخل صقر قریش ومؤسس دولة الأمويين  
فى الأندلس ، فهى كريمة النسب ، تليدة المواهب ، لكن أباهـا «محمد بن عبد  
الرحمن الناصرى الملقب بالمستكفى بالله» كان مشهورا بالجهل والكسل لاوزن  
له !

والرواة لا يذكرون لها سنة ميلاد ، وإنما يذكرون أنها كانت من المعمرات ،  
وأنها جاوزت الثمانين أو التسعين .

وقد وصفها ابن زيدون بالجبار العزيز العنيد فقال :

أهيمُ بجبارٍ يعزّو وأخضعُ      شذا المسك من أردانه يتضوّعُ<sup>(١)</sup>  
إذا جئتُ أشكوهُ الجوى ليس يسمعُ      فما أنا فى شئٍ من الوصل أطمعُ<sup>(٢)</sup>

ولا أن يزور المقلتين منام<sup>(٣)</sup>

لقد أحببت «ذا الوزارتين» الشاعر الخالد ابن زيدون فى صدر حياتها  
برضاها واختيارها ، كما هجرته من بعد وأصرت على هجره إصراراً ، وسعت  
بنفسها إلى وزير آخر صاحب نفوذ ؛ وإن لم يكن صاحب شعر كابن زيدون !

إنه الوزير «ابن عبدوس» ، لقد أحاطته بحبها إلى آخر أيام حياتها !

لكن الذى خلد ولادة على الزمان لم يكن بهاؤها ، ولا أدبها وإنما خلدتها  
«شعر ابن زيدون» ، وهو المبكر لها فى صدر حياتها وأخباره الطوال والقصار  
عن ولادة ، وقصائده ، ومقطوعاته الشعرية فى هواها .

(١) من معانى الجبار : القاهر العاتى المتسلط ، ويقال : قلب جبار : لا تدخله الرحمة ، ولا يقبل  
الموعظة .

والشذا : الرائحة الطيبة . والأردان الأكام ، ويتضوع يفوح فلا يشم منها إلا أطيب ريح .

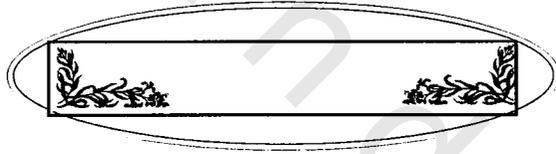
(٢) الجوى : شدة الوجد بسبب عشقه وهجرها .

(٣) المقلتان : يراد بهما العينان .

ومع هذا فقد قاد موقف ابن زيدون من ولادة ومحبوبها ابن عبدوس إلى أن يحاكم بتهمة التآمر على السلطان ، وأن يسجن ، ويعث من السجن بـ «رسالته الجديدة» أملاً في أن يُطلق سراحه ، وإلى ولادة «برسالته الهزلية» في ذم «ابن عبدوس» لعلها تطلعه على ماجاء فيها !

وحاول أن يخطب ودها بعد أن فر من السجن ، وبعد أن تولى الوزارة لكنها ازدادت من ابن عبدوس قرباً ومنه بعداً .

وهكذا كانت حياة ولادة فتنة في الجمال ، وبراعة في الشعر وقصة من أقاصيص الهوى والغرام ! وبقيت على الزمان رسالة ابن زيدون «الجديدة» «ورسالته الهزلية» من روائع الأدب !



### ٣- أبو العتاهية وعتبة

كانت « عتبة » هذه جارية للإمام المهدي فقال فيها :

عُتِبَ مَا لِلْخِيَالِ      خَبَّرِنِي ؛ وَمَا لِي ؟  
لَا أَرَاهُ أَتَانِي      زَائِرًا مُنْذُ لِيَالِي  
لَوْ رَأَيْتُ صَدِيقِي      رَقَّ لِي ، أَوْ رَثَى لِي  
أَوْ يَرَانِي عَدُوِّي      لِأَنَّ مِنْ سُوءِ حَالِي

\* ويبسط كفه سائلاً منتظراً الرد ؛ فيقول :

بَسَطْتُ كَفِّي نَحْوَكُمْ سَائِلًا

مَاذَا تَرُدُّونَ عَلَيَّ السَّائِلِ ؟

إِنْ لَمْ تُنِيلُوهُ ، فَسَقُوا لَوْ لَهُ

قَوْلًا جَمِيلًا بَدَلَ النَّائِلِ<sup>(١)</sup>

أَوْ كُنْتُمْ الْعَامَ عَلَى عُسْرَةٍ

وَيَلِي ( فَمَنْهُ إِلَى قَابِلِ )

وأبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم العنزي ، ولد بعين التمر بالحجاز قرب المدينة ، وقيل : إنها من أعمال سقى الفرات ، وقال ياقوت : إنها قرب الأنبار .

ونشأ بالكوفة ، وسكن بغداد ، وكان يبيع الجرار ، ف قيل له : الجرّار ، واشتهر بمحبة « عتبة » وأكثر نسيبه فيها ، ولكنها كانت تذيقه من ألوان القطيعة والهجر والصد ما كان يفقده عقله ؛ حتى أطلقوا عليه «أبا العتاهية» .

ولما يبس تزهد ، ولم يعد يقول الشعر إلا في الزهد ، وله في الزهد أشعار كثيرة تهز القلوب ، وتبكي العيون .

وكانت ولادته في سنة ثلاثين ومئة كما قال ابن خلكان وتوفى يوم الإثنين

سنة ثلاث عشرة ومئتين ببغداد .

ولما حضرته الوفاة طلب أن يُنشد عند رأسه :

(١) النائل : العطاء .

إذا ما انقضت عني من الدهر مُدَّتِي  
فإن عَزَاءَ الباكياتِ قليلُ  
سَيُعْرَضُ عن ذكري وتُنسى مَوَدَّتِي  
ويَحْدُثُ بعدي للخليلِ خليلُ

ثم قال

إن عيشًا يكون آخره الموتُ      تَعيشُ مُعَجَّلُ التَّنْغِيسِ

### عُودٌ عَلَى بَدءِ

\* وكان قد شكَا إلى عُتْبَةَ في بداية حبه لها ما يلقاه من عذاب هجرها  
فقال :

اعْلَمْتُ عُتْبَةَ أَننِي      منها على شَرَفٍ مُطِيلٍ  
وشكوتُ مَا أَلْقَى إِلَيَّ      ها ، والمدامعُ تَسْتَهْلِ  
حتى إذا بَرَمْتُ بِمَا      أشكو كما يشكو الأَقْلُ (١)  
قالت : فأى النَّاسِ يَعْزُ      لَمَ ما تقول ؟ فقلت : كُلِّ

\* وكتب مرة إلى المهدي ، وعرض بطلبها ، لعله يمن عليه بها فقال :  
نفسى بشيءٍ من الدنيا مُعَلَّقَةٌ  
اللهُ ، والقائمُ المهدي يكفِيها  
إني لأياس منها ثم يُظْمِرُ عُنِي  
فيها احتقاركُ للدنيا وما فيها !

ويقال : إنه لما هم بدفع عتبة إليه جَزَعَتْ ، وقالت :

يا أمير المؤمنين ؛ حُرِّمَتِي وَخِدْمَتِي !

أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر ، بائع جرار ، ومتكسب بالشعر ؟  
فأعفاها .

(١) الأقل : الضعيف ! فالقوى لا يشكو : وشكوى الأقل فيها ضراعة وذلة .

\* ومن لطيف شعره قوله :

ولقد صَبَوْتُ إِلَيْكَ حَتَّى  
يَصَارَ مِنْ قَرُطِ التَّصَابِي (١)  
يَجُودُ الْجَلِيسُ إِذَا دَنَا  
رِيحَ التَّصَابِي فِي ثِيَابِي !

\* ويشكو لكل من يلقاه لكيلا يلومه قائلاً :

يَا إِخْوَتِي إِنْ الْهَوَى قَاتَلِي

فَبَشِّرُوا الْأَكْضَانَ مِنْ عَاجِلٍ !

وَلَا تَلُومُوا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى

فَإِنِّي فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ

\* ويقول فيها :

عَيْنِي عَلَى عُنْتَبَةٍ مُنْهَلَةٌ  
بِدَمْعِهَا الْمُنْسَكِبِ السَّائِلِ  
يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى  
مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ

### أبو العتاهية وبشار بن برد

وحكى «صاعد اللغوى» فى كتاب «الفصوص» أن أبا العتاهية زار يوماً  
«بشار بن برد» ، فقال له أبو العتاهية :

إنى لأستحسن قولك اعتذاراً من البكاء إذا تقول :

كم من صديقٍ لى أسأ  
رِقْه البُكَاءُ مِنَ الْحَيَاءِ  
وَإِذَا تَفْطَنَ لَأَمْنِي  
فَأَقُولُ : مَا بِي مِنْ بُكَاءٍ !  
لَكِنْ ذَهَبَتْ لِأُرْتَدَى  
فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرُّدَاءِ

فقال له بشار : أيها الشيخ ؛ ما عرفته إلا من بحرك ، ولا نَحْتَهُ إلا من  
قدحك ، وأنت السابق حيث تقول :

وقالوا : قد بَكَيْتَ ؛ فقلت : كَلَأُ

وهل يبكى من الجَزَعِ الجليد (٢)

(١) صبوت : تشوقت .

(٢) الجليد : الذى بلغ الغاية فى التجلد والتحمل والصبر .

ولكن قد أصاب سوادَ عيني  
عُوَيْدُ قَدْنَى به طرفاً حَدِيدُ<sup>(١)</sup>  
فقالوا : مَالِدٌ مَعَهُمَا سَوَاءٌ  
أَكَلْنَا مُقَلَّتَيْكَ أَصَابَ عُوْدُ ؟

## أبو العتاهية في سجن الجرائم !

وكان «أبو العتاهية» قد ترك قول الشعر ، فحكى قال :  
لما امتعت من قوله ، أمر المهدي بحبسى في «سجن الجرائم» فلما دخلته  
دهشْتُ ، ورأيت منظراً هائلي ، فطلبت موضعاً آوى فيه ؛ فإذا أنا بكهل حسن  
البزَّة<sup>(٢)</sup> والوجه ، عليه سيما الخير ، فقصدته ، وجلست من غير سلام عليه ؛  
لما أنا فيه من الجزع والحيرة والفكر ، فمكثت كذلك مَلِيًّا ، وإذا بالرجل يُنشد :

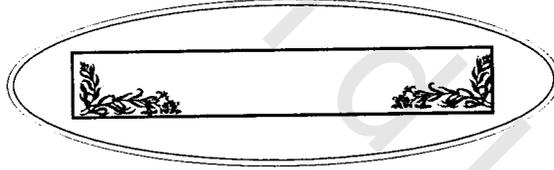
تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرْحِ حَتَّى أَلْفَتْهُ  
وَأَسَلَمْنِي حُسْنُ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ  
وَصَيَّرْنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ وَاثْقَا  
بِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي  
إِذَا أَنَا لَمْ أَقْنَعِ مِنَ الدَّهْرِ بِالذِّي  
تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتْبَى<sup>(٣)</sup> عَلَى الدَّهْرِ  
وَاسْتَدْعَى هَذَا الرَّجُلَ ، وَضُرِبَ عُنُقَهُ !  
كما استُدْعِيَ «أبو العتاهية» وهو في سجنه فقيل له : أتقول الشعر ،  
أَوْ يُضْرَبُ عُنُقُكَ مِثْلَ صَاحِبِكَ ؟  
فقال : بل أقول الشعر ، فقيل : أطلقوه !

(١) عويد : عود صغير . والمقلتان : العينان .  
(٢) البزَّة : الهيئة والمنظر . (٣) عتبي : عتابي ولومي !

## آخر شعر قاله

قال محمد بن أبي العتاهية : آخر شعر قاله أبي في مرضه الذي مات فيه :

إلهى لا تُعذِّبني فإنى      مُقِرُّ بالذى قد كان مِنى  
فمالى حيلةٌ إلا رجائى      لعَفْوِكَ-إن عَفَوْتَ-وحُسْنُ ظَنِّى  
وكم من زلَّةٍ لى فى الخطايا      وأنتَ علىَّ ذُو فضلٍ ومَنِّ  
يَظُنُّ الناسُ بى خيراً وإنى      لَشَرُّ الخلقِ ، إن لم تعفُ عَنِّى لا



#### ٤ - أبو نُوَاسٍ وجِنَان

(أضواء على الجانب الآخر من حياة أبي نواس)

لأمرماً خصص أبو الفرج الأصبهاني في كتابه «الأغاني» في الجزء العشرين فصلاً لأبي نُوَاسٍ ومحبوبته «جنان» جاء فيه :

كانت «جنان» هذه «جارية» آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثَّقَفِيِّ المحدث .  
وكانت حُلوةً جميلة المنظر أدبية !

ويقال : إن أبا نُوَاسٍ وهو أبو علي الحسن بن هانئ لم يَصْدُقْ في حُبِّه امرأةً «غيرها» من أجل هذا اخترت لك هذه القصة من بين أخبار أبي نُوَاسٍ جميعها ! ؛ تمشياً مع منهجنا في ألا نُقدِّم من الغزل إلا ما كان عفيفاً ! قالوا :

كانت «جنان» جاريةً حسناءً أدبيةً عاقلةً ظريفةً تعرف الأخبار ، وتروى الأشعار !

وكانت لبعض الثقفيين بالبصرة ، فرآها أبو نُوَاسٍ فاستحلاها ، وقال فيها أشعاراً كثيرة !

وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي :

يَسْتَخْفَهُ الطَّرِبُ	حَامِلُ الهَوَى تَعِبُ
لَيْسَ مَا بِهِ تَعِبُ	إِنْ بَكَى يَحْقَ لَهُ
والمُحِبُّ يَنْتَحِبُ	تَضْحَكِينَ لَاهِيَةَ
صِحَّتِي هِيَ العَجَبُ !	تَعَجِبِينَ مِنْ سَقَمِي

وذات يوم قال له أحد أصحابه :

إن «جنان» قد عزمت على الحج ؛ فكان هذا سببَ حجه ! فقال : أما -  
والله - لا يَفُوتُنِي المَسِيرُ معها ، والحج هذا العام إن أقامت على عزميتها !

ويواصل صاحبه الحديث عنه فيقول :

فظننته عابثاً مازحاً ، فسبقها - والله - إلى الخروج بعد أن علم أنها  
خارجة ، وما كان نوى الحج ، ولا أحدث عزمه له إلا خروجها ! وقال : وقد

حج وعاد :

أَلَمْ تَرَ أَنَّنِي أَفْنَيْتُ عُمَيْرِي  
بِمَطْلِبِهَا ، وَمَطْلِبُهَا عَسِيرٌ ؟  
فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ سَبَبًا إِلَيْهَا  
يُقَرِّبُنِي ، وَأَعْيَيْتَنِي الْأُمُورُ  
حَجَجْتُ ، وَقَلْتُ : قَدْ حَجَّتُ جَنَّانُ  
فَيَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرُ

قال صاحبه :

فحدثني من شَهِدَهُ لَمَّا حَجَّ مَعَ جَنَّانُ ، وَقَدْ أَحْرَمَ فَلَمَّا جَنَّه اللَّيْلُ جَعَلَ يُلَبِّي  
وهو قوله :

إِهْنَا مَا أَعْدَدْتُكَ	مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ
لَبَّيْكَ قَدْ لَبَّيْتُ لَكَ	لَبَّيْكَ إِنْ الْحَمْدُ لَكَ
وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ	وَاللَّيْلُ لَمَّا أَنْ حَلَكَ
وَالسَّابِحَاتِ فِي الضَّلَاةِ	عَلَى مَجَارِي الْمُنْسَلَكِ
مَا خَابَ عَبْدٌ أَمَّاكَ	أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكَ
لَوْلَاكَ يَارَبُّ هَلَاكَ	كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلَكَ
وَكُلُّ مَنْ أَهَلَ لَكَ	سَبَّحَ أَوْ لَبَّى فَلَاكَ
يَا مُخْطِئًا مَا أَغْفَاكَ	عَجَلٌ وَبَادِرٌ أَجَلَكَ
وَاخْتَمَّ بِخَيْرِ عَمَلِكَ	لَبَّيْكَ إِنْ الْمُلْكُ لَكَ
وَالْحَمْدُ وَالنَّعْمَةُ لَكَ	وَالْعِزُّ لَا شَرِيكَ لَكَ

ولعلك قد اشتقت إلى أخبار «أبي نواس وجننان» قبلَ رحلة الحج ، وبعده  
لترى إلى أي حدِّ أصاب حبُّها قلبه فتمكن ، ونعود فنقول :  
كانت جنانُ - كما سبق - جاريةً لآل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ،  
وفيهما يقول :

جَفَنُ عَيْنِي قَد كَادَ يَسُدُّ      قَطُّ مِنْ طُولِ مَا اخْتَلَجَ (١)  
 وَفُؤَادِي مِنْ حَرِّ حُبِّ      كِ وَالْهَجْرِ قَدْ نَضَجَ  
 خَبْرِي - فَدَتِكَ نَفْسِ      سِ ، وَأَهْلِي : مَتَى الْفَرْجِ ؟  
 أَنْتِ مِنْ قَتْلِ عَائِدِ      بِكِ فِي أَضْيَاقِ الْحَرْجِ

لم يكن باستطاعته أن يراها إلا عند خروجها ، وذات يوم كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبي نواس فانصرفت منه ، وهو جالس فرأها فأنشد بديهاً قوله :

شَهِدْتُ جَلْوَةَ الْعَرُوسِ جِنَانُ  
 فَاسْتَمَالَتْ بِحُسْنِهَا النَّظَارَةَ  
 حَسِبَ بَوَاهَا الْعَرُوسَ حِينَ رَأَوَهَا  
 فَإِلَيْهَا دُونَ الْعَرُوسِ الْإِشَارَةَ  
 قَالَ أَهْلُ الْعَرُوسِ حِينَ رَأَوَهَا  
 مَا دَهَانَا بِهَا سِوَاكِ عُمَارَةَ  
 و«عُمارة» هذه هي زوجة «عبد الرحمن الثقفي» وهي مولاة جنان .

### ﴿ غَضَبُ جِنَانٍ وَاعْتِذَارُ أَبِي نُوَاسٍ ﴾

ذات يوم غضبت جنان من كلام كلمها به أبو نواس فأرسل يعتذر إليها، فقالت للرسول :

قُلْ لَهُ : «لَا بَرِحَ الْهَجْرَانُ رَبِّعَكَ (٢) ، وَلَا بَلَّغْتَ أَمْلَكَ مِنْ أَحَبِّتِكَ» . فرجع إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره فقال :  
 قَدْ يَتَكُ فِيمَ عَتَبُكَ مِنْ كَلَامِ  
 نَطَقْتُ بِهِ عَلَى وَجْهِ جَمِيلِ ؟  
 وَقَوْلُكَ لِلرُّسُولِ : عَلَيْكَ غَيْرِي  
 فَلَيْسَ إِلَى التَّوَاصُلِ مِنْ سَبِيلِ

(١) تحرك واضطرب .

(٢) الربيع : الدار وما حولها والمنزل والحي . وهو دعاء عليه بأن يعيش في هجر مقيم .

فَقَدْ جَاءَ الرَّسُولُ لَهُ انْكَسَارٌ

وَحَالٌ مَاعَلَيْهَا مِنْ قَبُولِ

وَلَوْ رَدَّتْ جِنَانُ مَرَدِّ خَيْرٍ

تَبَيَّنَ ذَاكَ فِي وَجْهِ الرَّسُولِ

قال أبو خالد يزيد بن محمد : وكان أبو نؤاس صادقا في محبته «جنان» من بين من كان ينسب<sup>(١)</sup> به من النساء ، ورأيت أصحابنا جميعا يصححون ذلك عنه ، وكان لها محبا ولم تكن تحبه ، فمما عاتبها به حتى استمالها بصحة حبه لها فصارت تحبه بعد نبوِّها<sup>(٢)</sup> عنه قوله :

جِنَانُ إِنْ جُدَّتْ يَا مُنَايَ بِمَا

أَمَلْتُ لَمْ تَقْطُرِ السَّمَاءُ دُمَا

وَإِنْ تَمَادَى - وَلَا تَمَادَيْتِ فِي

مَنْعِكَ - أَصْبِحْ بِقَفْرَةٍ رِمَمَا<sup>(٣)</sup>

عَلِقْتُ مَنْ لَوَاتَى عَلَى أَنْفُسِ الْمَ

اضِينَ وَالْغَابِرِينَ مَا نَدِمَا

لَوْ نَظَرْتُ عَيْنُهُ إِلَى حَاجِرٍ

وَلَدٌ فِيهِ فُتُورُهَا سَقَمَا

**أبو نؤاس يسأل عنها امرأة فتخبره أنها رحمته**

حدث الجَمَّازُ قال :

كنت عند أبي نؤاس جالسا إذ مرت «امرأة» ممن يُدْخِلُ الثَّقَفِيَّينَ<sup>(٤)</sup> فسألها عن «جنان» وألحف في المسألة واستقصى ، فأخبرته خبرها ، وقالت :

قد سمعتها تقولُ لصاحبة لها - من غير أن تعلم أنى أسمع - : ويحك ! قد آذاني هذا الفتى ، وأبْرَمَنِي ، وأحرج صدرى وحيثما التفت أراه فى أثرى ، فقد لهج قلبى بذكره ، والفكر فيه من كثرة ذلك حتى رَحِمْتُهُ ، ثم التَفَتْتُ ، فأمسكت عن الكلام ، فَسُرَّ أبو نؤاس ، فلما قامت المرأة أنشأ يقول :

(١) النسب : الغزل ، والتشبيب .

(٢) نبوِّها : بعدها .

(٣) الرمم : جمع رمة ، وهى العظام البالية .

(٤) يختلط بهم .

ياذا الذى عَن جِنَانِ ظَلَّ يُخْبِرُنَا  
 بالله قُلْ وأعد يا طيبَ الخَبَرِ  
 قال: اشتكتك وقالت: ما ابتليتُ به  
 أراه من حيثُما أقبلتُ فى أثرى !  
 ويُعمِلُ الطرفَ نحوى إن مررتُ به  
 حتى ليُخجلُنِي مِن حِدَّةِ النَّظَرِ (١)  
 وإن وقفتُ له كيما يكلمُنِي  
 فى الموضعِ الخلوِّ لم ينطقْ من الحَصْرِ  
 ما زال يَفْعَلُ بى هذا ويُدْمِنُه  
 حتى لقد صارَ من همى ومِن وطرى !

ورآه محمد بن حفص بن عمرو وهو يتولى القضاء حين انصرافه من المسجد فى طريقه قد خلا بامرأة يكلمها ، وكانت هذه المرأة قد جاءت برسالة من جنان ، فقال له :

اتق الله (٢)!

قال : إنها حرمتى !

قال : فصنّها عن هذا الموضع ، وانصرف عنه !

فقال أبو نواس :

بكرًا (٣) أَكَلْمُهَا رَسُولُ	إِنِ التى أَبصَرْتَهَا
كَادَتْ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ	أَدَّتْ إِلَى رَسْوَالَةٍ
حَتَّى تَسْمَعَ مَا تَقُولُ	فَلَوْ أَنَّ أذُنَكَ بَيْنَنَا
أَمْرِي هُوَ الْأَمْرُ الْجَمِيلُ !	لرأيت ما اسْتَقْبَحْتَ مِنْ

(١) أمرنا بغض البصر ، وإعطاء الطريق حقها إن لم يكن بُدُّ من الجلوس فى الطرقات .  
 (٢) نهى الإسلام أن يخلو رجل بامرأة ، وأمرنا أن نتقى الشبهات فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما .  
 (٣) بكرا : أى لأول مرة .

ثم وجه بها ، فألقيت فى الرِّقاع بين يدي القاضى ، فلما رآها ضحك وقال :  
إن كانت رسولاً فلا بأس !

وفى رواية ، فلما قرأها ضحك وقال : قل له : إنى لا أتعرض للشعراء !

## أبو نواس يسأل عنها أخا مولاها

كان «أبو عثمان» أخا مولى جنان ، وكان مولاها «أبو مية» زوجُ عُمارة ، وهى مولاتها ، كانت لهما بحكمَان<sup>(١)</sup> ضيعة كان ينزلها هو وابن عم له يقال له :  
أبوميّة ، فقال أبو نواس :

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانَ<sup>(١)</sup>

كَيْفَ خَلَفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ ؟

وَأَبَا مَيَّةَ الْمُهَذَّبَ وَالْمَا

جِدَّ وَالْمُرْتَجَى لَرَيْبِ الزَّمَانِ

فَيَقُولَانِ لِي : جِنَانٌ كَمَا سَرَّ

كَ فِى حَالِهَا ، فَسَلَّ عَنْ جِنَانَ

مَالِهِمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ

كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عِنْدَهُمْ كِتْمَانِي ؟

ومن الطرائف التى تذكر فى هذا المجال أن أبَا نواس أشرف من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى ، وقد مات بعض أهله ، وعندهم مأتم ، وجنان واقفة مع النساء تلتطم وجهها<sup>(٢)</sup> ، وفى يدها خضاب فقال :

يَاقُمُورًا اِبْرَزَهُ مَاتَمُّ يِنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ اِتْرَابِ

يَبْكِي فَيُنْزِرِي الدُرَّ مِنْ عَيْنِهِ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

(١) حكمان : ضيعة بالبصرة لبنى عبد الوهاب موالى جنان ، سميت باسم الحكم بن العاص الثقفى ، وهذا اصطلاح لأهل البصرة إذا سمّوا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا ونونا ، وحكمَان بالتحريك أو هو كسلمان .

(٢) نهى الإسلام فيما نهى عن لطم الخدود وشق الجيوب ، ودعا إلى الصبر والرضا بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره !

لَا تَبْكِ مَيِّتًا حَلَّ فِي حُضْرَةٍ      وَأَبْكِ قَتِيلًا لَكَ بِالْبَابِ  
أَبْرَزَهُ الْمَاتَمُ لِي كـَـارِهَا      بَرَّغَمِ دَايَاتٍ وَحُجَّابِ  
لَا زَالَ مَوْتًا دَابُّ أَحْبَابِهِ      وَلَا تَزَلْ رُؤْيَتْهُه دَابِي (١)

وتمضى الأيام ، وتمر الأعوام ، والبلاغيون لا ينتهى إعجابهم بقوله :  
يَبْكِي فَيُذْرَى الدَّرَمَ مِنْ طَرْفِهِ  
وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

### \*\* رسالة إلى جنان من بغداد \*\*

كتب أبو نواس إلى جنان من بغداد رسالة يقول فيها :

كَفَى حَزْنًا آلَا أَرَى وَجَهَ حَيْلَةٍ  
أَزُورُ بِهَا الْأَحْبَابَ فِي حَكَمَانِ  
وَأُقْسِمُ لَوْلَا أَنْ تَنَالَ مَعَاشِرُ  
جِنَانًا بِمَا لَا أَشْتَتِي لَجِنَانِ !  
لَأَصْبَحْتُ مِنْهَا دَائِي الدَّارَ لِأَصِقًا  
وَلَكِنْ مَا أَخْشَى - فُذِيْتِ - عِدَائِي  
أَرَانِي انْقَضَتْ أَيَامُ وَصَلِيٍّ مِنْكُمْ  
وَأَذِنَ فَيَكُم بِالْوَدَاعِ زَمَانِي !

ومن طرائف هذا الحب أن أبا نواس بلغه ذات يوم أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها ، فشتّمته «جنان» ، وتقصّته ، وذكرته أقبح الذكر : فقال :

وَإِذَا دُكِرْتُ لَهُ      وَطُولُ وَجْدِي بِهِ تَنْقَصْنِي  
لَوْ سَأَلُوهُ عَنْ وَجْهِ حُجَّتِهِ      فِي سَبِّهِ لِي لِقَالٍ : يُعْشَقْنِي  
نَعَمْ إِلَى الْحَشْرِ وَالتَّنَادِ نَعَمْ      أَعْشَقُهُ ، أَوْ أَلْفًا فِي كَفْنِي  
أَصْبِيحُ جَهْرًا لَا أُسْتَسِرُّ بِهِ      عَنَفْنِي فِيهِ مَنْ يُعْنَفْنِي :  
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ فَاسْمَعُوهُ وَعُؤَا :      أَنْ جِنَانًا حَبِيبَةُ الْحَسَنِ

(١) دابى : دابى خفت همزتها .

فبلغها ذلك ، فهجرته ، وأطالت هجره ، فرآها ليلة في منامه ، وأنها قد  
صالحته ، فكتب إليها :

إذا التقى في النوم طيفانا      عاد لنا الوصل كما كانا  
يا قرة العين فما بالنا      نشقى ، ويلائنا خيالنا ؟  
لو شئت إذ أحسنت لي في الكرى      أتممت إحسانك يقظانا  
يا عاشقين اصطلحا في الكرى      وأصبحا : غضبي وغضباننا  
كذلك الأحلام غدارة      ورئما تصدق أحيانا

وهكذا امتعنا أبو الفرج الأصبهاني بهذا الحب الصادق من حياة أبي نواس ؛  
وروى أن الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سألته عن نسبه فقال :  
أغنانى أدبى عن نسبى ، فأمسك عنه .  
وهو فى الطبقة الأولى ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد فى العشرة .

### أبو نواس والأمين والمأمون:

كان محمد الأمين قد سخط عليه ، وحبسه ، فكتب إليه من السجن :

بك استجير من الردى      متعوذاً من سطو بأسك  
وحياة رأسك لا اعو      دلتلها ؛ وحياة رأسك  
من ذا يكون أبانوا      سلك ، إن قتلت أبانوا

ويقول ابن خلكان : ورأيت فى بعض الكتب أن المأمون كان يقول :

لو وصفت الدنيا نفسها ، لما وصفت بمثل قول أبى نواس :

الا كل حى هالك وابن هالك

وذو نسب فى الهالكين عريق (١) !!

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو فى ثياب صديق

(١) فسلسلة نسبه حتى آدم كلهم ماتوا وهلكوا .

## ٥- الأحوص وأم جعفر

الأحوص : هو عبد الله بن محمد ، شاعر المدينة فى عصر بنى أمية ؛ وهو ثالث ثلاثة نهضوا بالغزل فى الحجاز نهضةً واسعةً فى ذلك العصر .  
وشعره حلُوُّ اللفظ متينُهُ ، قوىُّ الأسلوب رصينُهُ ، يُجَوِّدُ فى المعنى كما يجود فى اللفظ !

«وأم جعفر» هذه امرأةٌ من الأنصار هى أم جعفر بنت عبد الله ، وله فيها أشعار كثيرة !

ولما أكثر الأحوص التشبيب بها ، وشاع ذكره فيها توعده أخوها «أيمن» ، وهدده فلم ينته ! فاستعدى عليه «عمر بن عبد العزيز» ، فربطهما فى حبل ، ودفع إليهما سوطين ، وقال لهما تجالدا (١) ، فتجالدا ، فغلبه أخوها ، وهرب الأحوص ، فتبعه أخوها حتى فاتته «الأحوص» هرباً ، وكان الأحوص قد : قال فيها :

لقد منعتُ معروفها أمُ جعفر  
وانى إلى معروفها نَفَقِيرُ  
أدورُ ولولا أن أرى أم جعفر  
بأبياتكم ما درتُ حيثُ أدورُ  
أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ بيئتها  
وقلبي إلى البيتِ الذى لا أزورُ  
وما كنتُ زواراً ولكنَّ ذا الهوى  
إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أن سَيَزورُ  
أزورُ على أن نَسْتُ أنفكَ كُلِّمَا  
أتيتُ عدواً بالبنانِ يُشِيرُ

ويقول :

أبئك ما ألقى وفى النفسِ حاجةٌ  
لها بين جسمى والعظامِ دبيبُ

(١) ليجلد كل منكما الآخر .

لَكَ اللهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي

وَمُثْنٌ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبٌ

وَإِنِّي لَأَتِي الْبَيْتَ مَا إِنَّ أَحِبَّهُ

وَأَكْثَرُ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبٌ

وَأُغْضِبِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكُمْ تَسْوَعُنِي

وَأُدْعَى إِلَى مَا سَرَكُمُ فَاجِيبُ

وَأَخْذُ مَا أَعْطَيْتَ عَفْوًا وَإِنِّي

لَأَزُورُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيْبُوبٌ<sup>(١)</sup>

فَلَا تَتْرَكِي نَفْسِي شَعَاعًا فَإِنَّهَا

مِنَ الْحَزَنِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذْوِبُ<sup>(٢)</sup>

ويعيش على الأمل فيقول :

إِنِّي لِأَمَلٌ أَنْ تَدْنُو وَإِنْ بَعُدْتُ

وَالشَّيْءُ يُؤْمَلُ أَنْ يَدْنُو وَإِنْ بَعُدَا

ويحدثنا عن معالجة الحب فيقول :

مَاعَالِجُ النَّاسِ مِثْلُ الْحَبِّ مِنْ سَقَمٍ

وَلَا بَرَى مِثْلَهُ عَظْمًا وَلَا جَسَدًا

مَا يَلْبِثُ الْحَبُّ أَنْ تَبْدُو شَوَاهِدُهُ

مِنَ الْمَحَبِّ ، وَإِنْ لَمْ يُبْنِدْهُ أَبَدًا

وينسى ذنب «أيمن» من أجل أخته «أم جعفر» فيقول :

إِذَا أَنَا لَمْ أَغْفِرْ لِأَيْمَنَ ذَنْبَهُ

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْفُو لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي ؟

أريدُ انتقامَ الذنبِ ثم تَرُدُّنِي

يَدُ لِأَدَانِيهِ مَبَارَكَةٌ عِنْدِي

إِذَا جِئْتُ قَالُوا : قَدْ آتَى وَتَهَامَسُوا

كَانَ لَمْ يَجِدْ فِيهَا مَضَى أَحَدٍ وَجَدِي

(١) أَرُورٌ عَنْهُ : أَمِيلٌ عَنْهُ ، وَأَهَابُهُ وَلَا أَقْبِلُ عَلَيْهِ .

(٢) شَعَاعًا (بفتح الشين) : مفرقة موزعة .

فَعَرُوهُ سَنَ الحُبِّ قَبْلِي إِذْ شَقَى

بعضراء ، والنهدي مات على هندي

لا تزرننا :

ويتساءل عن حرضها، وجعلها تقول له : لا تزرننا ، فيقول :

أرسلت أم جعفر : لا تزرننا

ليت شعري بالغيب من ذا دهاها ؟

أتاها مُحَرَّشٌ بِنَمِيمٍ

كاذبٌ ، ما أراد إلا رداها<sup>(١)</sup> ؟

### ٥ أنسب بيت قالته العرب !

قال أبو الفرج : أخبر الحرمي عن عبد الأعلى قال : حُمِّلت دِينًا وكنت في

ركب المهدي وأنا وراءه في موكبه على بردون قَطُوفٍ<sup>(٢)</sup> فقال :

ما أنسبُ بيت قالته العرب ؟

فقال أبو عبيد الله : قول امرئ القيس :

وما ذرقت عيناك إلا لتضربني

بسهميك في أعشار قلبٍ مُفَتَّلٍ

فقال : هذا أعرابي فح !

فقال عمر بن بزيع : قول كئيب يا أمير المؤمنين :

أريد لأنسى ذكرها فكانما

تمثل لي ليلى بكل سبيل

فقال : ما هذا بشيء ، وماله يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثل له !

فقلت : عندي حاجة يا أمير المؤمنين . جعلني الله فداك !

قال : الحق بي . قلت : لا لحاق بك ، ليس ذلك في دابتي .

(١) رداها : هلاكها وموتها .

(٢) البردون : غير العربي من الخيل والبغال . والقطوف (بفتح القاف) سيئ السير ، البطئ .

قال : احملاه على دابة . قلت : هذا أول الفتح ، فحملت على دابة ،  
فَلَحِقْتُهُ ، فقال : ما عندك ؟ قلت : قول الأحوص :

إذا قلت : إني مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا فَحُمَ التَّلَاقِي بَيْنَنَا زَادَنِي سُقْمًا

فقال : أحسن والله ، افضوا عنه دينه ، ففضى عنى دينى !

### أغزل بيت قالته العرب

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن التساؤل عن «أغزل بيت قالته العرب»  
كثيرا ما شغل بال الكثيرين ! وكان لأئمة اللغة والأدب والنقاد رأيهم !  
هذا ، وقد نقل الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء : أنه قال :

(١)

أغزل بيت قالته العرب ، قول «عُمَرَ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

فَتَضًا حَكْنٌ ، وَقَدْ قُلْنَا لَهَا :

حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ

(٢)

وكان الأصمعيُّ يقول :

أغزل بيت قالته العرب ؛ قول «امرئ القيس» :

وَمَا دَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي

بَسْهَمَيْكَ ، فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُفْتَلٍ

(٣)

وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال :

لم تقل العرب بيتا أغزل من قول «جميل بن مَعْمَر» :

لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بِشَاشَةٌ

وَكُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدٌ

وفضّلته بهذا البيت «سُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» ،  
وأثابته به دون جماعة من حضر من الشعراء !

(٤)

وقال الحاتميُّ : أغزلُ ما قالته العرب ؛ قول أبي صخر الهذليّ :  
فيا حُبِّها زدني جوى كلِّ ليلةٍ  
ويا سلوةَ الأيامِ مؤعِدُك الحشُرُ

(٥)

وقال أبو عبيدة : ما حفظت شعراً مُحدَثٍ إلا قول أبي نُوَاس :

كان ثيابه أطلعن      من أزراره قمراً  
يزيدك وجهه حسناً      إذا ما زدته نظراً

فما رأيك فيما قالوه ؟

ونعود إلى «الأحوص وأم جعفر» وما كان من أمرها معه بعد أن ضاقت به  
ذرعاً !!

### أم جعفر تحتال لتبرئة نفسها بعد أن شاع أمرها !

ذكر أبو الفرج الأصبهاني أن «أم جعفر» لما أكثر «الأحوص» في ذكرها جاءت  
منتقبة ، فوقفت عليه في مجلس قومه ، ولا يعرفها ، وكانت امرأة عفيفةً ،  
فقال له : اقض ثمن الغنم التي ابتعتها مني ، فقال :

ما ابتعتُ منك شيئاً ؛ فأظهرت «كتاباً» قد وضعته عليه ، وبكت ، وشكت  
حاجةً ، وضراً ، وفاقةً ، وقالت :

يا قوم ، كلموه ؛ فلامه قومه ، وقالوا : اقض المرأة حقها ؛ فجعل يحلف أنه  
مارأها قط ، ولا يعرفها !

وعندئذ كشفت وجهها ، وقالت : ويحك !

فجعل يحلف أنه ما رآها قط ولا يعرفها ، واجتمع الناس وكثروا ، وسمعوا

ما دار، وكثر لفظهم وأقوالهم ، وإذا بها تقول : أيها الناس ، اسكتوا ، ثم أقبلت عليه ، وقالت : يا عدوَّ الله ! صدقت ، والله مالى عليك حق ولا تعرفنى ، وقد حلفت على ذلك ، وأنت صادق ، وأنا «أم جعفر» ، وأنت تقول : قلت لأم جعفر ، وقالت لى أم جعفر فى شعرك ؛ فخرج الأحوص ، وبرئت أم جعفر عندهم ؛ وعرفوا أن الشعراء فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون كما وصفهم ربنا سبحانه !

## لمن هذا الشعر؟!

وجاء فى العمدة لابن رشيق :

حكى عن «ابن شهاب الزُّهْرِي» قال : دعانى «يزيد بن عبد الملك» ، وقد مَضَى شطر من الليل ، فأَتَيْتُهُ فَرَعًا ، وهو على سطح ، فقال لابأس عليك .. اجلس ، فجلست فسمعنا من يُنشد :

إذا رُمْتُ عنها سَلْوَةٌ ، قال شافعُ

من الحُبِّ : ميعادُ السَّلْوِ المقابرُ !

سَيَبْقَى لها فى مُضْمَرِ القَلْبِ والحِشَا

سريرةُ حُبِّ يومِ تَبْلَى السَّرَائِرُ !

فقال : لمن هذا الشعر ؟

فقلت : للأحوص !

قال : ما فعل الله به ؟

قلت : محبوس !

قال : فكتب من ساعته بإطلاقه ، وأمر له بأربعمائة دينار ، وقَدِمَ إليه ؛

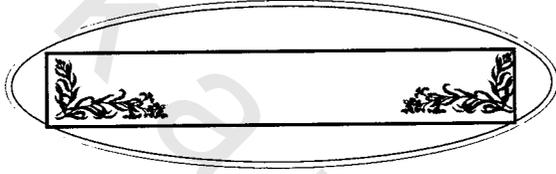
فأحسن جائزته !

وهذا - كما يقول ابن رشيق - من منافع الشعر !

ولقد تغزل الأحوص فى «الذَّلْفَاء» أيضاً ، وقال :

إنما الذئفَاءُ هَمِّي  
أحسَنُ الناسِ جميعاً  
حَبَبَ الذئفَاءِ عِنْدِي  
أصلُ الحَبِيبِ لَتَرْضَى  
فليدعني مَن يلوم !  
حين تَمْشِي وتَقُوم  
منطقُ منها رَخِيم  
وهي للحَبِيبِ صَرُوم (١)  
مُسْتَكِنٌ لا يَرِيم  
حُبِّها في القلبِ داءٌ

وبعد : فإن شعر الأحوص شعر رقيق ، يذوب سهولة وطرافة ، ومن ورائه  
عاطفة جامعة !



(١) الصَّرْمُ : بفتح الصاد : القطع . وصَرُومٌ من صيغ المبالغة .

## ٦- توبة وليلى

قصة حب عنيف عفيف ، صادف قلبا خاليا فتمكن !  
وفرقت الأيام بين جسديهما ، لكنهما ظلا على وفائهما فما الحب إلا  
للحبيب الأول !  
وليلي الأخيلية من النساء المتدمات فى الشعراء كالخنساء من شعراء  
الإسلام .

وكان توبة يهواها ، ويقول فيها شعرا على عادة العرب يعبر فيه عن هواه ،  
ومكتون نفسه ، ويشكو بثه وجواه ! وهو صادق فى حبه ، ولهذا عبر لأهلها عن  
رغبته فى الاقتران بها تتويجا لحبهما المتبادل !  
ولكن أهلها قابلوه بالرفض لالشئ يعيبه إلا أنه تناولها فى شعره وإن كان  
عفيفا !

إن العربَ الأباة لا يزوجون بناتهم ممَّنْ شَهَّرَ بِهِنَّ !  
ولم يقف الأمر عند الرفض بل شكاهُ قومها إلى السلطان !  
وأهدر السلطان دمَه إن هو تعرض لها ، أو طاف بدارها بعد أن زوجها  
بغيره ، وحرموها منه وحرموه منها !!

وهام على وجهه ! يبكى ليلاه ، وحظه العاثر ! ومن غرائب المصادفات أن  
يحل عليه الليل فيرى بيتا بوادٍ فيقبل عليه ، وينزل ضيفا إلى جوار الخباء  
حيث ينزل الضيف !

وأبصر امرأة وصبيانا يدورون بالخباء ، فلم يكلمه أحد ! حتى إذا مضى  
قسم من الليل جاء رجل ، فأناخ بغيره ، واتجه إلى البيت ، وماهى إلا دقائق  
حتى سمع الرجل يناجى المرأة ، ويقول لها : من ذلك الذى أناخ بالقرب من  
خبائنا ؟!

قالت : إنه راكب أناخ بنا حين غابت الشمس ، لكن لم نكلمه ، ولم يكلمنا ..  
ولا نعرف من أمره شيئا ! قال لها زوجها : كذبت .. ماهو إلا بعض خُلانك !  
ونفض يضربها ... وهى تتأشده !!

لكن الغيرة أخرجته عن صوابه ، وهى تتأشده أن يكف عن ضربها ، وهو يقول :

والله لأتركُ ضربك ، حتى يأتى ضيفك هذا ، فيغيثك ، وينقذك !  
فلما نَفِدَ صبرها صاحت قائلة :

ياصاحب البعير ... يارجل !!  
وهى لاتعرف أنه هو !

فأسرع إليها - وهو لايعرف أنها هى ! - حتى أتاها وهو يضربها ، فضربه ثلاث ضربات أو أربعا ، ثم أدركته المرأة ، فقالت :

بعد أن خلصها منه :

يا عبدَ الله .. مالك ولنا ..  
نَحَّ عَنَّا نَفْسَكَ !

فانصرف ، وركب راحلته فى ظلام الليل ، وهو يظن أنه قتل زوجها وهو لايدرى !

فلما أصبح الصباح جاءته الأخبار بما خفى عليه من أمر المرأة وزوجها !  
وأقر على نفسه قائلاً :

دَمَتْنِي دَعْوَةٌ فَحَجَزْتُ عَنْهَا

بُصَكَّاتٍ رَفَعْتُ بِهَا يَمِينِي

فَإِنْ تَكُ غَيْرَةً أُبْرِكْ مِنْهَا

وإن تك قد جُنُنْتَ ، فإذا جُنُونِي !

وعاشا حبيبين على البعد .. كل فى طريق .. وكان «توبة» كثير الغارات ، فقتل فى إحدى غاراته .. وسجل التاريخ أروع رثاء قالتة مُحبة فى حبيب فرقت بينهما الأيام .

## \*\* أروع شعر الأخيلية ! \*\*

### فى رثاء توبة

أقسمت أرثى بعدَ توبة هالكاً  
وأخفيلُ من دارت عليه الدوائرُ  
لعمرك ما بالموت عاز على الفتى  
إذا لم تُصِبْه فى الحياة المعابرُ  
وما أحدٌ حياً وإن كان سالماً  
بأخلد ممن غيَّبته المقابرُ  
ومن كان ممماً يُحدثُ الدهرُ جازعاً  
فلا بدَ يوماً أن يرى وهو صابرُ  
وليس لذى عيش من الموت مذهباً  
وليس على الأيام والدهرُ غابرُ<sup>(١)</sup>  
ولا الحى مما يُحدثُ الدهرُ مُغترباً  
ولا الميت إن لم يصبر الحى ناشِرُ  
وكل شَبَابٍ أو جديدر إلى بلى  
وكل امرئ يوماً إلى الله صائرُ  
وكل قريئى ألفسة لتفرق  
شَتَاتاً ، وإن ضناً ، وطال التَّعَاشُرُ  
فلا يُبعِدَنَّك الله ياتوب هالكاً  
أخا الحرب إن ضاقت عليه المصادرُ  
فأقسمتُ لا أنفك أبكيك ما دَعَمْتُ  
على قَنَنِ<sup>(٢)</sup> ورققاء أو طار طائرُ  
قتيل بنى عوف ، فىا لهفتا له  
فما كنتُ إياهم عليه أحاذرُ!

(١) غابر ، باق . (٢) فنن ، غصن ، والجمع أفنان . والورقاء الحمامة .

## ليلى والحجاج:

ومرت أيام وأعوام ؛ ذهب فيها شباب ليلى ، وذبلت زهرتها ! وذات يوم دخلت ليلى على الحجاج فقالت لها :

إن شبابك قد ذهب ، واضمحَلَّ أمرُك وأمر «توبة» ، فأقسمُ عليك إن لا صدقتى : هل كانت بينكما ربيبة قط ؟ أو خاطبك فى ذلك قط ؟

فقالت : لا والله أيها الأمير ، إلا أنه قال لى ليلة وقد خلونا<sup>(١)</sup> كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر ، فقلت له :

وذى حاجة قلنا له : لا تبُحُ بها

فليس إليها ما حيت سبيلُ

لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه

وأنت لأخرى فارغ وحليلُ

فلا والله ما سمعت منه ربيبة بعدها حتى فرق بيننا الموت !

قال الحجاج : فما كان منه بعد ذلك ؟

قالت : وجه صاحبًا له إلى حاضرنا (حيثًا) ، فقال : إذا أتيت الحاضر من

بنى عبادة بن عقيل ، فاعلُ شرفًا (مكانا عاليًا) ، ثم اهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة

من الدهر لا يسرى إلى خيالها ؟

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى ، فقلت له :

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه

عزيز علينا حاجة لا ينالها !

(١) هذا ، والإسلام حرم الخلوة بالأجنبية ، والخطبة أيضا لا تبيح الخلوة ! فما بالناس بمن كانت لأجنبي ؟

## ليلى ومعاوية:

وقال لها معاوية : من أى الرجال كان ؟ قالت :

أَتَتْهُ الْمَنَايَا حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ

وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قَبْرَيْنِ<sup>(١)</sup> يُطَاوِلُهُ

وَكَانَ كَلِيثَ الْغَابِ يَحْمِي عَرِينَهُ

وَتَرْضَى بِهِ أَشْبَاهَهُ وَحَلَالَتَهُ

غَضُوبٍ حَلِيمٍ حِينَ يُطَلَّبُ حِلْمُهُ

وَسُمُّ زُعَافٍ<sup>(٢)</sup> لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

قال : فأمر لها بجائزة عظيمة وقال لها : خبريني بأجود ما قلت فيه من

الشعر ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت فيه شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير

أكثر منه ، ولقد أجدت حين قلت :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا ، وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ

فَتَى مِنْ عُقَيْلٍ سَادَ غَيْرَ مَكَلَّفٍ

فَتَى كَانَتْ الدُّنْيَا تَهَوَّنُ بِأَسْرَهَا

عَلَيْهِ ، وَلَا يَنْفَكُ جَمُّ التُّصْرِفِ

يُنَالُ عَلَيَّاتِ الْأُمُورِ بِهَوْنَةٍ

إِذَا هِيَ أَعْيَتْ كُلَّ خِرْقٍ<sup>(٣)</sup> مُشْرِفٍ

## ليلى وعبد الملك بن مروان:

يقولون : إن ليلى الأخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت

وعجزت ، فقال لها : ما رأى توبة فيك حين هويك ؟ قالت : ما رآه الناس فيك

حين ولّوك ؛ ، فضحك حتى بدت له سنٌّ سوداء كان يخفيها ؛

(١) والقرن ، المائل يطاوله ، يباريه . (٢) زعاف ، فتاك وقتال .

(٣) الخرق ، السخى ، أو الظريف فى سخاوة ، أو الفتى الحسن الكريم الخليفة . والمراد أنه

يحقق فى سهولة ويسر ما يعجز عنه غيره ؛

## 📖 اللقاء الأخير!

ذات يوم أقبلت ليلي من سفر ، فمرت بقبر توبة فى طريق عودتها .

فقالت : السلام عليك يا توبة !

أنتم السابقون ، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون ! وسكتت قليلا ثم حولت وجهها إلى القوم من حولها فقالت :

أشهد أننى لم أعرف له كذبة قط قبل يومنا هذا !!

عَجِبَ القومُ : وقالوا : كيف ذلك ؟

قالت : أليس هو القائل :

ولو أن لَيْلى الأَخيلية سَلَّمتُ

على ، ودونى جَنْدَلٌ وصفائحُ (١)

لَسَلَّمتُ تسلِيمَ البَشاشةِ أَوْزَقًا

إليها صدَى من جانبِ القبرِ (٢) صائحُ

وأغَبَطُ من لَيْلى بما لا أناله

الا كل ما قَرَّتْ به العين صالحُ

فما باله لم يسلم على الآن ؟

## 📖 النهاية الأليمة !!

وكانت إلى جانب القبر «بومة» مختبئة ، فلما رأت الهودج ... فزعت .. وطارت مذعورة فى وجه الجمل ! فخاف هو الآخر ، واضطرب ، وهاج ، ورمى بليلى ، فسقطت على رأسها فماتت لوقتها ، ودفنت هناك على مقربة ممن كان أحب الناس إلى قلبها .. وأقربهم إلى روحها !

(١) الجندل الحجارة ، والصفائح جمع صفيحة : كل عريض من حجارة أو غيرها ، ويقصد ما يحيط به فى قبره .

(٢) زقا : صاح ، والصدى هنا : طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح : اسقونى .. حتى يأخذوا له بثأره !

## ٧- بشار وعبدة !

كان لبشار بن برد مجلس يجلس فيه يقال له : «البردان» . فبينما هو في مجلسه ذات يوم - وكان النساء يحضرنه - إذ سمع كلام امرأة يقال لها : «عبدة» في المجلس ، فدعا غلامه فقال :

إني قد علقْتُ<sup>(١)</sup> امرأة ، فإذا تكلمتْ فانظر من هي واعرفها ، فإذا انقضى المجلس ، وانصرف أهلها فاتبعها وكلمها ، وأعلمها أنني لها محب ، وأنشدها هذه الأبيات ، وعرّفها أنني أخواها :

قالوا : بمن لا ترى تهذي ؟ فقلت لهم :

الأذنُ كالعينِ تُوفى القلبَ ما كانا  
ما كنت أولَ مَشْفوفٍ بجاريةٍ  
يلقى بلقيانها رَوْحًا وريحانًا  
يا قومُ أذني لبعضِ الحَيِّ عاشقةٌ  
والأذنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحيانًا !

ويروى الشطر الأول من البيت الثاني :

\* هل من دواءٍ لمشفوفٍ بجاريةٍ \*

فأبلغها الغلام الأبيات ، فهشت لها ، وكانت تزوره مع نسوة يصطحبها ، وينصرفن بعد أن يحدثها ، وينشدها ، ولا تطمعه في نفسها ، وقال فيها :

قالت ، عقيلُ بن كعب<sup>(٢)</sup> ، إذ تعلقها  
قلبي ؛ فأضحى به من حُبِّها أثرُ :

أنى ولم ترها تهذي ؟ فقلت لهم :  
إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصرُ  
أصبحتُ كالحائمِ الحَرانِ مُجتنبًا  
لم يقضِ وزدا ، ولا يرجى له صددُ

(١) علقّت امرأة : أحببتها . وتعلق قلبي بها .

(٢) قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها ، وهو يسجل في البيت الأول موقفها من حبه ، والبيت الثاني يتضمن قولهم وردّه عليهم .. إنهم يتعجبون من هديانه ولم يرها ، فيقول لهم : إن القلب يرى ما لا تراه العين !

وقال فيها ، وهو من جيد ما قال :  
يُزْهَدُنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعْشَرُ  
قُلُوبِهِمْ فِيهَا مَخَالَفَةُ قَلْبِي  
فقلت : دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى  
فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يُبْصِرُ ذُو الْحُبِّ  
فَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى  
وَلَا تَسْمَعُ الْأُذُنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ  
وَمَا الْحُسْنُ إِلَّا كُلُّ حُسْنٍ دَعَا الصَّبَا  
وَأَلْفَ بَيْنِ الْعِشْقِ وَالْعَاشِقِ الصَّبَا  
\* ومما قاله ردا على من عابوا عليه حُبَّهُ وهو أعمى (١) :  
وَعَيَّرْنِي الْأَعْدَاءُ ، وَالْعَيْبُ فِيهِمْ  
وَلَيْسَ بَعَارٍ أَنْ يُقَالَ : ضَرِيرًا  
إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمَرْوَةَ وَالتُّقَى  
فَبِأَنْ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ  
رَأَيْتَ الْعَمَى أَجْرًا ، وَذُخْرًا ، وَعِصْمَةً  
وَإِنِّي إِلَى تِلْكَ الثَّلَاثِ فَاقْرِيرُ

### عبدۃ ترسل إليه السلام فيرد عليها

ويحكى راويته ، فيقول :  
إني لعند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت يا أبا معاذ ، عبدة تقرئك  
السلام ، وتقول لك :  
قد اشتد شوقنا إليك ، ولم نرك منذ أيام ، فقال لراويته :  
خذ الرقعة ، واكتب فيها ما أقول لك ، ثم ادفعه للرسول ، فأملى عليه:  
عَبْدَةٌ أَنِي إِلَيْكَ بِالْأَشْوَاقِ لِتَلَّاقِ ، وَكَيْفَ لِي بِالتَّلَاقِ ؟  
أَنَا وَاللَّهِ - أَشْتَهَى سِحْرَ عَيْنَيْكَ ، وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعُشَاقِ (٢)  
(١) انظر «غزر الخصائص» ص ١٨٧ . وديوانه ج ٤ . (٢) إنه يخشى من عواقب العشق .

\* ويطراً عليها ما يطراً على المحبين من صدود فيقول :

مَسْتَى مِنْ صُدُودِ عِبْدَةٍ ضُرُّ

فبنات الفؤاد ما تستقر<sup>(١)</sup>

ذاك شيء في القلب من حب عبا

دة باد ، وباطن يستسر

\* ويشعر بالظلم فيقول :

يا عبدُ إنى قد ظلمت وإننى

مبدر مقالة راغب اراهب

وأتوب مما تكرهين لتقبلى

والله يقبل حُسن فعل التائب

\* وحينما يستبد به الحب ، ويكاد يعصف بقلبه يقول :

يا عبدُ حُبك شَفَنى شَفَا

والحُب داءٌ يورثُ الحنفاً<sup>(٢)</sup>

والحُب يخفيه المحب لِكى

لا يُستراب به<sup>(٣)</sup> وما يخفى

\* ويظل يهتف بها أن تفرج كربه .. أن تزوره .. أن تشفى فؤاده .. أن تعوده ..

أن تُحى عن قريب .. أن ترحم عبدها .. أن تسعفه .. أن ترفه عنه ، ولكن

أهاته كانت تذهب مع الريح ، ولا حياة لمن ينادى .. إنه يهتف بها قائلاً :

يا عبدُ باللهِ فَرَجى كُربى

فقد برانى وشفنى نصبى<sup>(٤)</sup>

وضيقتُ ذرعاً بما كلفتُ به<sup>(٥)</sup>

من حُبكم ، والمحِب فى تعبٍ

وحرَّ حُزنٍ فى الصدرِ كاللَّهبِ

ولا تظننى ما اشتكى لِعِبا

هيهات<sup>(٦)</sup> قد جلَّ ذا عن اللَّعبِ

(١) بنات الصدر : الهموم ، وبنات الدهر : شدائده ، وعدم استقرارها يوحى بتتابعها .

(٢) الحنفاً : الهلاك ، وشفه الحب : انحله ونال منه .

(٣) يكون موضع ارتياب الناس فيه . (٤) نصبى : تعبى . (٥) كلفت به : تعلقت .

(٦) هيهات : بعد . جلَّ : عظم . أى أن حبه جلَّ عن أن يكون لمجرد اللهو واللعب :

\* ويقول :

يا عبدُ زوريني تكن مِنَّةُ  
لله عندي يوم القـــــــــــــــــاكِ  
والله ثم الله فاستيقني  
إني لأرجوكِ وأخشاكِ  
فلا تردِّي عاشقًا مُدْنفًا<sup>(١)</sup>  
يرضى بهذا القدر من ذاكِ

\* ثم يقول :

يا عبدُ حَيِّى عن قريباً  
وارعنى وِدادى غائباً  
أشكو إليك وإنما  
غرضى إليك من الهوى  
وتأملِ عينَ الرقيبِ  
فقد رَعَيْتُكَ فى المغيبِ  
يشكو المحبُّ إلى الحبيبِ  
غرضُ المريضِ إلى الطبيبِ

\* ثم يقول:

يا عبدُ بالله ارحمى عبدكِ  
وعَلَيْهِه بُمْنَى وَعُنْدِكَ  
يُصْبِحُ مَكْرُوبًا وَيُمْسَى بِهِ  
وليس يَدْرِى مَالَهُ عِنْدَكَ  
ماذا تَقُولِينَ لربِّ العُلا  
إذا تَخَلَّيْتِ بِهِ وَحَدِّدِكَ ؟!

\* ثم يقول:

لم يَطُلْ لَيْلَى وَلكن لم أَنَّمْ  
وإذا قلت لها : جُودَى لَنَا  
رَفُّهُ ياعبدُ عنى واعلمى  
إن فى بُرْدَى جِسْمًا نَاحِلًا  
وَنَضَى عَنِ الكَرَى طَيْفُ أَلَمْ  
خَرَجَتْ بِالصَمْتِ عَن لَأ وَنَعْم  
أَننى ياعبدُ من لحمٍ وَدَمْ  
لَو تَوَكَّاتِ عَلَيْهِ لَأ نَهَدَمْ  
مَوْضِعِ الخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَمْ  
خَتَمِ الحَبِّ لَهَا فى عُنُقَى

(١) أدنفه الحب وأمرضه بمرض مثل ملازم .

\* وأخيرا يهتف بها :

عَبْدُ يَاقِرَةَ عَيْنِي      أَنْصِرْفِي رُوحِي فِـدَاكَ  
عَاشِقُ لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ      رِوَاكُ هَمِّ سِرِّهِمْ وَأَكْ

\* ويشدد الجفاء ، وتطول القطيعة فيقول طالبا الرحمة :

يَا عَبْدُ يَا جَافِيَةً قَاطِعَةً      أَمَا رَحِمْتَ الْمُقْلَةَ الدَامِعَةَ ۱۹  
يَا عَبْدُ خَافِي اللّٰهَ فِي عَاشِقٍ      يَهْوَاكُ حَتَّى تَقَعِ الْوَاقِعَةَ ۱۱

\* وقد نظم بشار الشعر على شكل رسالة بدأها على عادة كتاب الرسائل : «من فلان» . ثم شئ بقوله : «سلام الله عليك» ، وأردف بقوله : «أما بعد» ، ثم خلاص إلى مضمون الرسالة فيقول:

من المشهور بالحُبِّ      إلى قاسية القلبِ  
سلام الله ذى العرش      على وجهك يا حُبِّي  
فأما بعدُ ، يا قُرِّ      ة عَيْنِي ، وَمُنَى قَلْبِي  
ويانفسي التي تسكُ      نُ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْجَنْبِ  
لقد أنكرتُ يا عَبْدُ      جِـفَاءً مِنْكَ فِي الْكُتُبِ  
أعن ذنبٍ ولا والِّد      هِ مَا أَحْدَثْتُ مِنْ ذَنْبِ  
ولا والله ما فى الشَّرِّ      قِ مِنْ أَنْثَى وَلَا الْغُرْبِ  
سواك اليوم أهواها      عَلَى جِـدِّ وَلَا لَعْبِ



## ٨- جميل وبثينة :

جميل هو أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر أحد عشاق العرب المشهورين ، أحب ابنة عمه ، وعرف بها فدعى «جميل بثينة» وهما من عذرة ، والجمال في عذرة والعشق كثير :

ويقول الرواة : كان جميل فتى شريف النفس ، شجاع القلب يخافه العدو ، ويرجوه الصديق ، وهو أحد عشاق العرب من بنى عذرة ، الذين اشتهروا بشدة عشقهم ، وعفافهم وطهرهم ، ومنهم «جميل وبثينة» ، «كثير وعزقة» و «عروة وعفراء» . \* عرف جميل صاحبه في يوم من أيام الأعياد وكان جميل بدويا يعيش في وادي القرى ؛ فعشقها منذ كان غلاما ، فلما كبر خطبها ، فرّدت عنها ، لأنه شَبَّ بها في شعره :

\* ثم شاعت الظروف ان تقترن بثينة برجل سواه ، فلم يزد ذلك إلا فتونا إلى فتون ، ولم يفلح اهله في إقناعه بوجود الكف عن هوى من ليس له منها غير النعيم بأوهام الخيال :

\* وقد اعترف جميل بأن من الحمتق أن يذوب الرجل وجدا بامرأة في ذمام رجل سواه ، لأنها ملكت عليه اقطار نْهاه (عقله) وقد أضله هواه ، فلم يعد يعرف مذاهب التجميل ولا مسالك العقل :

\* ولقد وقعت الجفوة بينها وبين جميل حين وقع لبثينة هوى جديد مع رجل اسمه «حجنة الهاللي» ، وهي جفوة لم تشفّه من جواه ، لأنه كان قد صار إلى حالة لاينفع فيها دواء . وقد سئل بعض العذريين : ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة ؟

فاجاب : لأن فينا جمالا وعفة .

وقيل لآخر : ممن انت ؟ قال : «أنا من قوم إذا احبوا ماتوا» فقالت جارية سمعته :

هذا عذري ورب الكعبة :

## تجربة فريدة!

قال لها : يا بثينة ، أرايتِ وُدَى إياك ، وشغفى بك ،

ألا تجزنيه ؟

قالت : بماذا ؟

قال : بما يكون بين المتحابين !

فقالت له : يا جميل ، أهذا الذى تبغى ؟ والله لقد كنت عندى بعيدا عن الرُبِية !

ولئن عاودت تعريضاً بريية لا رأيتَ وجهى أبدا !

فضحك وقال : والله ما قلت هذا إلا لأعلم ما عندك فيه ! ولو عملت أنك

تجيبيننى إليه لعلمت أنك تجيبين غيرى ، ولو رأيت منك مساعدةً عليه لضربتُك

بسيفى هذا ، ولو أطاعتنى نفسى لهجرتُك هجرةً الأبد ! ، أوَمَا سمعت قولى :

وانى لأرضى من بُثُيْنَةَ بالذى

لو ابصره الواشى لقَرَّت بلا بله

بلا ، وبالأأسى تطيع ، وبالمنى

وبالأمل المرجو قد خاب أمله

وبالمنظرة العجلى وبالعام تنقضى

أواخره لا نلتقى وأوائله

\* ويقول ابن خلكان : جميل بن عبد الله صاحب بثينة ، أحد عشاق العرب ،

عشقها وهو غلام ، فلما كبر خطبها ، فرُدَّ عنها ، فقال الشعر فيها ، وكان منزلها فى

وادي القرى .

وذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق وقال : قيل له : لو قرأت القرآن كان

أعوذَ عليك من الشعر ! فقال : هذا أنس بن مالك - رضي الله عنه - أخبرنى أن رسول الله

ﷺ قال : «إن من الشعر لحكمة (١)» .

(١) جاء فى كشف الخفاء رقم ٧٨٥ - «إن من الشعر حكمة» رواه البخارى والترمذى .

## إهدار دمه !

لقد كان على جميل أن يبتعد عن بثينة ، وألا يحاول الاقتراب من ديار بنى عمه بعد أن أصبحت لغيره ! ، وياؤيله إن هو اقترب من ديارهم ، وهو الذى كان مَوْضِعَ ترحيبهم ، وفى ذلك يقول مصوراً ما يعانيه من يأس :

لقد ظن هذا القلبُ أن ليس لاقِيَا

سُلَيْمَى ، ولا أمَّ الحُسَيْنِ لحين<sup>(١)</sup>

فليت رجالاتك قد نذروا دمي

وهمُّوا بقتلى يابُثَيْنَ لِقُونى

إذا ما رأونى طالِعَا مِن ثَنِيَّةِ

يقولون : « من هذا » ؟ ، وقد عرفونى<sup>(٢)</sup>

يقولون لى : أهلاً وسهلاً ومرحباً

ولو ظفروا بى خالِياً قَتَلُونى

ولو أرسَلتُ يوماً بثينةً تبتغى

يمينى ، وقد عزت على يمينى

لأعطيْتُها ما جاء يبغى رسولُها

وقلت لها - بعد اليمين - : سكينى

سَلِينى مالى يابُثَيْنَ فإنما

يُبَيِّنُ عندَ المالِ كُلِّ ضَنِينِ

فمالكَ لَمَّا خَبِرَ الناسُ أننى

أسأتُ بظهرِ الغيبِ لم تسلينى<sup>(٣)</sup> !؟

فأبلى عُدراً ، أو أجيءَ بشاهدٍ

من الناسِ عدلٍ : أنهم ظلمونى<sup>(٤)</sup>

بُثَيْنُ ؛ الزمى لا ، إن لا ، إن لزمتهِ

على كثرةِ الواشينِ أى مَعُونِ<sup>(٥)</sup>

(١) سليمان وأم الحسين : أختان لبثينة .

(٢) أسأت بظهر الغيب : أسأت إليك فى غيابك .

(٣) أسأت بظهر الغيب : أسأت إليك فى غيابك .

(٤) فابلى عذرا : فأقدم عذرا .

(٥) المعون : المعونة .

لَحَا<sup>(١)</sup> اللهُ من لا يَنْضَعُ الوَعْدُ عنده  
وَمَنْ حَبَلُهُ - إن مُدَّ - غَيْرُ مَتِينٍ  
ومن هو ذو وجهين ليس بدائم  
على العهد خَلَّافٌ بكل يَمِينٍ  
ولستُ وإن عَزَّتْ على - بقائل  
لها بعد صَرْمٍ : يابثين ، صليين<sup>(٢)</sup>!

### ارحميني!

ولما أقرحُ الحبُّ قلبه طلب إليها أن ترحمه قائلاً :  
ارحميني ، فقد بُليتُ ، فحسبى  
بعضُ ذا الداءِ ، يابثينةُ حَسْبِي  
لامنى فيك - يابثينةُ - صَحْبِي  
لا تلوموا ، قد أقرحُ الحبُّ قلبِي!  
إن قصة جميل تمثل الشخصية النبيلة التي بلغت الغاية في الشعر والعشق ،  
وسارت أخبارها في الرجولة والشهامة !

### تحذير!

لم تنقطع محاولات جميل ، فقد أعماه الحب ! ، ولم يكن يُطيق فراقها ؛  
فكان يحاول أن يلقاها بمنزلها بوادي القرى ، وجمع له قومها جمعاً ليأخذوه  
فحذرتهم بثينة فاستخفى وقال :  
ولو أن ألفاً دونَ بثينة كلهم  
غيارى ، وكلُّ حاربٍ مُزْمِعٌ قَتلى  
لحاولتها إماً نهاراً مُجاهراً  
واما سُرى ليلٍ ولو قَطَعَتْ رِجلى  
وهجا قومها ، فاستعدوا عليه «مروان بن الحَكَم» وهو يومئذ عامل معاوية على  
المدينة ، فنذر ليقطعن لسانه ، فلحق بجذام وهو حى من اليمن ، وقال :  
(١) لاه : لاهمه وعذله . (٢) الصَّرم (بفتح الصاد المشددة) : القطيعة ، والهجر .

أَتَانِيَّ عَنْ مَـرَوَانَ أَنَّهُ مُقَيِّدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا (١)  
فَفِي الْعَيْسِ مَنجَاةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا لَهْنَ الْمَثَانِيَا (٢)

فَأَقَامَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ عَزَلَ مَرَوَانَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ رَاحَ يَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ ؛ إِنَّهُ لَا يُطِيقُ صَبْرًا عَلَى فِرَاقِهَا وَالْبَعْدَ عَنْهَا !

لَقَدْ صَادَفَ حُبُّهَا قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَ !

وَهَا هُوَ ذَا مَهْدَدٍ بِإِهْدَارِ دَمِهِ إِنْ عَبَّرَ عَنِ هَوَاهُ ! أَوْشَكَ مَا يَعْانِيهِ ! وَطَالَتْ بِهِ الْحَيْرَةُ فِي تَلَمُّسِ أَسْبَابِ الْخِلَاصِ مِنْ هَوَاهُ ، فَلَمْ يَجِدْ أَفْضَلَ مِنَ الرَّحِيلِ إِلَى مِصْرَ ، وَفِي مِصْرَ ظَفَرَ بِالشِّفَاءِ الْأَعْظَمِ حِينَ صَعَدَتْ رُوحَهُ إِلَى بَارِيهَا !!  
وَيَأْتِيهَا خَبْرُهُ فَتَقُولُ :

وَإِنْ سَلُوْنِي عَنْ جَمِيلٍ لَسَاعَةً مِنْ الدَّهْرِ لَا حَانَتْ وَلَا حَانَ حَيْثُهَا  
سَوَاءً عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ إِذَا مِتُّ : بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلَيْنُهَا

هَذِهِ «هِيَ قِصَّةُ حُبِّ جَمِيلٍ» الَّتِي سَجَلَهَا شَعْرُهُ ؛ إِنَّهُ يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَبَيْتَنُ لَيْلَةَ

بِوَادِي الْقَرْيِ ؛ إِنْ إِذَا لَسَعِيْدُ (٣)

وَهَلْ أَلْقَيْتَنَ فَرْدًا بُثَيْنَةَ مَرَّةً

تَجُودُ لَنَا مِنْ وُدِّهَا ، وَنَجُودُ (٤)

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا ، فَلَمْ يَزَلْ

إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ

وَأَفْنَيْتُ عَمْرِي بِانْتِظَارِي وَعَمْدَهَا

وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ

فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا

وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ

(١) مقيد دمي : أي سافك دمي .

(٢) العيس : النوق . المثنى جمع مشى وهو الرسن ، والرسن : الزمام على أنف البعير .

(٣) كان أهل بئنة يقيمون في وادي القرى ، ويلتقى نسبها بنسب جميل في ربيعة بن حزام .

(٤) الخلوة بالأجنبية محرمة حتى ولو كان خاطبًا .

ويخشى أن يختطفه الموت قبل أن يلقاها فيقول :  
لقد خِفتُ أن يَغْتالني الموتُ بَغْتَةً  
وفى النفسِ حاجاتُ إليك كما هيا  
وانى لتثنييني الحفيظة (١) كلُّمًا  
لقيتُك يوماً أن أبثُّك ما بيَا  
هذا وأخبار جميل وبثينة تملأ كتب الأدب نقتطف لك منها ما يأتى .

### عبدُ الملكِ بنُ مروانَ وبُثينة!

دخلت «بثينة» محبوبه الشاعر «جميل بن معمر» على «عبد الملك بن مروان» ،  
فقال لها :

والله يا بُثينةُ ما أرى فيك شيئاً مما كان يقول جميل !  
قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنه كان يرثو إلى بعينين ليستأ في رأسك !  
قال : وكيف صادفته في عفته ؟  
قالت : كان كما وصف نفسه حيث يقول :  
لاوالذى تسجد الجباهُ لهُ  
مالي بما دون ثوبها خبرُ  
ولا بضيها ، ولا هممتُ بها  
ماكان إلا الحديثُ والنظرُ (٢)

### جميلٌ عندَ الرّحيلِ !

رؤى عن «ابن سهل بن سعد الساعدي» قال : دخلتُ على «جميل بن معمر»  
العُدريّ ، وهو عليل ، وانى لأرى آثار الموت على وجهه ، فقال :  
يا بن سهل !

(١) الحفيظة : الغضب ، والحمية ، والتقية والحذر ، والجمع حفاظ ، وأهل الحفاظ : المدافعون  
عن أعراضهم !  
(٢) وربنا واسع المغفرة في مثل هذا الحب العفيف حيث يقول : (إلا اللهم) وصاحب هذا الحب لم  
تحده نفسه بريية قط !

أقول : إن رجلاً يلقى الله لم يسفك دماً حراماً ، ولم يشرب خمراً ، ولم  
يأت بفاحشة أترجو له الجنة ؟

فقال : إى والله !

فمن هو ؟

قال : إنى لأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل !

قلت : بعد زيارتك «بُثينة» ، وما تحدثت به عنكما ؟!

قال : والله إنى لفى آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة ، ولا  
نالتى شفاعة محمد ﷺ إن كنت حدثت نفسى بريية قطاً!

قال : فما انقضى يومٌ حتى مات ! رحمه الله !

لقد كان يرضى منها بكل شىء تراه ، وبالأمل المرجو خاب أمله !

وكان - رحمه الله - حافظاً لسرها فى حبها ؛ فيقول :

إنى لأحفظُ سِرِّكُمْ وَيَسْرَتِي      لو تعلمين - بصالح - أن تذكري  
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسَلاً      أو نلتقى فيه على أشهرِ  
ياليتنى ألقى المنيةَ بغتةً      إن كان يوم لقائكم لم يُقدرِ

ثم يقول :

يهواك ما عشتُ - الفؤادُ وإن أمتُ

يتبع صدأى صدائك بين الأقبُرِ

**وبعد** 

فها هو ذا جميل ، ولئن قيل عن العذريين جميعاً : إن قلوبهم تنماتُ (١) كما  
ينمات الملح فى الماء ، فقلب جميل يتفانى حباً وهياماً !

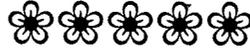
وقلب جميل يخفق فى صدره كما تخفق الورقة فى مهب الريح !

لقد خفق لبثينة منذ كانا طفلين بوادى القرى !

(١) تنمات : تذوب .

ثم خفق لها خفوقا رافق كل طرفةٍ من طرفات عينيه )  
وظلت بثينة شغله الشاغل حتى لحق بربه )  
إنه لم يكن يفهم الحياة خِلْواً من «بثينة» بل كان يؤثر أن يموت على أن يبتعدَ  
عنها :

فَمَا أَنَا فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ  
إِذَا قِيلَ : قَدْ سُئِي عَلَيْهَا صَفِيحُهَا (١)  
أظلم نهارى مُسْتَهَامًا وَيَلْتَقَى  
مع الليل رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا



(١) صفيحها : حجارة قبرها .

## ٩- ذوالرمة ومحبوبته مَيَّ

هو أبو الحارث غيلان بن عقبة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك. وُلد في فيافي الدهناء ببادية اليمامة ، ونشأ فيها ، ثم أكثر من الترحال إلى العراق ولاسيما البصرة والكوفة ، وقد علق مية بنت طلحة بن قيس بن عاصم المنقرى وظل طول حياته هائماً بحبها ، وكان يسميها في شعره تارة مية ، وتارة خرقاء وذو الرمة ؛ لقب لقبته به «مِية» . وكان قد اجتاز بخبائها ، وهي جالسة إلى جانب أمها ، فاستسقاها ماء ، فقالت لها أمها :

قومي فاسقيه . وقيل : بل خرقت إداوته<sup>(١)</sup> لما رآها ، وقال لها : احرزي لى هذه ، فقالت :

والله ما أحسن ذلك ؛ فإنى لخرقاء ، (والخرقاء : التي لاتعمل بيديها شيئاً لكرامتها على قومها) فقال لأمها :

مريها أن تسقيني ماء ، فقالت لها : قومي يا خرقاء ، فاسقيه ماء ؛ فقامت فأنته بماء وكان على كتفه «رمة» ؛ وهي قطعة من حبل ، فقالت : اشرب «ياذا الرمة» ؛ فلُقب بذلك .

ولقد اجتمع الناس مرة ، وتحلقوا<sup>(٢)</sup> حول ذى الرمة وهو ينشدهم ، فجاءت أمه فاطلعت من بينهم ، فإذا رجل قاعد ، وهو ذو الرمة ، وكان دميماً ، فقالت أمه :

استمعوا إلى شعره ، ولا تنظروا إلى وجهه !!

\* وكان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمة ؛ ، وأهل البادية يعجبهم شعره ؛ وقال أبو المطرف : لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغ من «ذى الرمة» ، ولا أحسن جواباً ، كان كلامه أكثر من شعره ؛

\* وقال الأصمعي : ما أعلم أحداً من العشاق الحضريين<sup>(٣)</sup> وغيرهم شكاً حباً أحسن من شكوى «ذى الرمة» مع عفة ، وعقل رصين .

(١) الإداوة : إناء صغير يحمل فيه الماء . (٢) احاطوا به .

(٣) الذين عاشوا في المدن لا في البدو .

وعن حماد الراوية قال :

أحسنُ الجاهلية تشبيها امرؤ القيس .

وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيها .

\* وخرقاء هذه كانت أصبح من القبس<sup>(١)</sup> ، وبقيت بقاء طويلا حتى إن  
«القحيف العجلى» رآها فى سن متأخرة فبهره جمالها وقال فيها :  
وخرقاء لا ترداد إلا ملاحه ولو عمرت تعمير نوح وجلت

### ﴿ وقية ﴾

وكانت «كثيرة» أمة مؤلدة لآل قيس بن عاصم قوم مى ، وكانت تقول  
الشعر ، فقالت شعرا ، ونسبته إلى «ذى الرمة» جاء فيه :

على وجه مى مسحة من ملاحه

وتحت الثياب الخزى لو كان باديا

الم تر أن الماء يخبث طعمه

ولو كان لون الماء فى العين صافيا

وحين سمع «ذو الرمة» هذا الذى جاء على لسانه امتعض من ذلك وحلف  
بجهد أيمانه ما قاله .

قال : وكيف أقول هذا ، وقد قطعت دهرى ، وأفنيت شبابى أشبب بها<sup>(٢)</sup>  
وأمدحها ، ثم أقول هذا ؟

ثم اطلع على أن «كثيرة» قالتها ونحلتها<sup>(٣)</sup> إياه .

### ﴿ مى لا ترد عليه السلام ﴾

ووقف ذو الرمة فى ركب معه على مئة ، فسلموا عليها ، فقالت : وعليكم إلا  
«ذا الرمة» ، فأحفظه<sup>(٤)</sup> ذلك ، وغمه ما سمع منها بحضرة القوم ، فغضب  
وانصرف ، وهو يقول :

(١) أكثر صباحة ووضاعة » (٢) يتغزل بها ويصف محاسنها »

(٣) نسبتها إليه . (٤) آثار حفيظته وغضبه .

أَيامِيْ قَدْ أَشْمَتَ بِي - وَنَحَكَ - الْعِدَا

وَقَطَّعْتَ حَبْلًا كَانَ - يَامِيْ - بَاقِيَا

فِيَامِيْ لَا مَرْجُوعَ لِلْوَصْلِ بَيْنَنَا

وَلَكِنْ هَجْرًا بَيْنَنَا ، وَتَقَالِيَا (١)

أَلَمْ تَرَأِ الْمَاءَ يَخْبِثُ طَعْمُهُ

وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيَا

وَكَانَتْ قَطِيعَةً ، وَكَانَ الْهَجْرُ !

وَيَهِيْمُ ذُو الرِّمَّةِ عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَبْكِي «رَبْعَ مِئَةٍ» (٢) فَيَقُولُ :

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعِ مِئَةٍ نَاقَتِي

فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْثُهُ

تُكَلِّمُنِي أَحْجَازَهُ وَمَلَاعِبُهُ (٣)

وَيَرِي ظُبِيَّةً فَيَخَاطِبُهَا قَائِلًا :

أَرَى فِيكَ مِنْ خَرْقَاءِ يَاطْبِيَّةِ اللَّوَى

مَشَابِهَ جُنُبْتِ اعْتِلَاقِ الْحَبَائِلِ (٤)

فَعَيْنَاكَ عَيْنَاهَا ، وَجَيْدُكَ جَيْدَهَا

وَلَوْ نُكَّ لَوْلَا أَنَّهَُا غَيْرَ عَاطِلِ (٥)

## ﴿ أَلَا يَا اسْلَمِي ! ﴾

ظَلَّ ذُو الرِّمَّةِ يَرْسِلُ أَنَاشِيدَ الْحُبِّ ، وَيُوجِّهُهَا إِلَى «مِئَةٍ» مَعْبِرًا عَنِ خَوَالِجِ

نَفْسِهِ قَائِلًا :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَادَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى

وَلَا زَالَ مِنْهُالًا بِجِرْعَائِكَ الْقَطْرُ (٦)

(١) التَّقَالِيَا : الكِرَاهِيَةُ الْمُتَبَادِلَةُ ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : «مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» أَي : وَمَا قَلَكَ

وَكَرِهَكَ . (٢) الرَّبْعُ : الدِّيَارُ وَمَا حَوْلَهَا وَالْحَى .. وَمَنَازِلُهُمْ فِي الرَّبْعِ .

(٣) أَمَاكِنُ اللَّعْبِ فِي الطِّفْلِ . (٤) يَدْعُو لَهَا أَنْ تَسْلَمَ مِنْ حِبَالَةِ الصَّائِدِ ، وَلَا تَقَعْ فِيهَا .

(٥) وَالدِّيْوَانُ : إِلَّا أَنَّهُا . وَالْعَاطِلُ : الَّتِي لَا حَلَى عَلَيْهَا !

(٦) الْجِرْعَاءُ : الرَّمْلَةُ الطَّيْبَةُ النَّبْتِ ، وَيَدْعُو لَهَا بِالسَّقْيَا وَالْخَصْبِ .

فوالله ما أذرى أجولان عبرة

تجود بها العينان أحجى أم الصبر؟ (١)

ففى همّالان العين من غصّة الهوى

شفاء وفى الصبر الجلادة والأجر

إذا الهجر أودى طوله ورّق الهوى

من الإلف لم يقطع هوى مية الهجر (٢)

لها بشر مثل الحرير، ومنطق

رخيم الحواشى : لا هراء ولا نزر (٣)

## ❦ يأس

لقد شغل حُب مية قلبه ، وتغلغل إلى أعماق نفسه ، لا يفارقه اسمها نهاراً ، ولا خيالها ليلاً ، بعد أن تزوجت من ابن عمها عاصم ، وعندئذ أصابه اليأس فقال :

بدأ اليأس من مئ على أن نفسه

طويل على آثار مئ نحيبها

إنه يائس لا ينسى ، والذكرى تزيد يأساً واحتراقاً ، وإذا عيناه ذؤب من الدموع المنهمرة بلا انقطاع ، وإذا اسم مئ يتردد على لسانه فى كل بيت من أبياته :

وهكذا كانت «مئ» ملهمة «ذى الرمة» ، وسبب عذابه ؛ وهكذا جاء شعرة الغزلى وجداً وجوى بل روحاً معذبة ، ترتعش ارتعاشة الطائر الذبيح وتعبّر عن جواها بكلام رقيق حافل بالعدوية واللين :

إن شعر ذى الرمة من أروع الشعر العربى البدوى الذى يذكرنا بحياة كانت بين هذين التاريخين (٧٧. ١١٧ هـ - ٦٩٦ - ٧٣٥ م).

(١) أحجى ، اخلق وأجدر . (٢) أودى ، اهلك .

(٣) البشر ، ظاهر الجلد من الإنسان . الهراء ، المنطق الكثير لا نظام فيه . والنزر ، القليل .

## ١٠- العباس بن الأحنف وفوز

براعة العباس فى الغزل براعة سارت سير الأمثال ؛ فقد أتى بالغرائب فى العتاب ، والعفاف ، والكتمان !

ومعشوقة العباس واحدة وهى « فوز » ، ولم يحدثنا الرواة عن هويتها كما حدثونا عن هوية « عزة » معشوقة « كُثير » أو هوية « بثينة » معشوقة « جميل » .

إنه شاعر العفاف الذى يقول :

أتأذنون لَصَباً فى زيارتكم

فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ !

لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ

عَفَا الضَّمِيرَ ، وَلَكِنْ فَاسَقَ النَّظْرَ !

ولقد تقرد فى فن الغزل بأفانين ؛ فتارة يرى « العتاب » من النعم كأن يقول :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِى

تُرَوِّعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطُ وَلَا رِضَا

فَأَيْنَ حَالَاوَاتِ الرَّسَائِلِ وَالْكَتَبِ

وتارة يوصى محبوبته بنبذ ما تسمع من أخبار شركه بهواها فيقول :

وَصَالِكُ مَظْلَمٍ فِيهِ التَّبَاسُ

وَعِنْدَكَ لَوْ أَرَدْتَ لَهُ شَهَابُ

وَقَدْ حُمِلْتُ مِنْ حُبِّكَ (١) مَالُ

تَقَسَّمُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ شَابُوا

أَفِيْقَى مِنْ عِتَابِكَ فِي أَنْاسِ

شَهَدْتُ الْحِظَّ مِنْ قَلْبِي وَغَابُوا

يُظُنُّ النَّاسُ بِي وَبِهِمْ وَأَنْتُمْ

لَكُمْ صَفْوُ الْمَوَدَّةِ وَاللُّبَابُ

(١) حُبِّكَ : حبى إياك .

وكننت إذا كتبت إليك أشكو  
 ظلّمت، وقُلّت: ليس له جواب  
 فعشت أقوتُ نفسي بالأمانى  
 أقول: لكلّ جامعة إياب<sup>(١)</sup>  
 وصبرت إذا انتهت هي منى  
 كتاباً إليك لتعطفى بُدّ الكتاب  
 وإن الودّ ليس يكادُ يَبْقَى  
 إذا كثر التّجنى والعتاب  
 خَفَضْتُ لمن يلوذُ بكم جناحى  
 وتلقّونى كأنكم غِضَاب  
 \* ونراه يُحسُّ باللوعة من ضنها بالمراسلة حين قال :  
 ويُقنّنى مِمَّنْ أَحَبَّ كِتَابَهُ  
 ويمنّنيهِ<sup>(٢)</sup> إنه لبخيل !

وكما يفرح بالعتاب لأنه الوسيلة إلى تذوق حلاوات الكُتب والرسائل يخاف  
 أن ينقلب العتاب إلى عتب<sup>(٣)</sup> وإيذاء فيقول :  
 قاسميينى هذا البلاء وإلا  
 فاجعلى لى من التعزى نصيبا  
 إن بعض العتاب يدعو إلى العت  
 ب ويؤذى به المحبّ الحبيبا  
 وإذا ما القلوب لم تُضمّر العظ  
 فقلن يعطف العتاب القلوبا

\* وقد بلغ الغاية فى التفریق بين «صدّ العتاب» و «صدّ الملال» حين قال :  
 لو كنت عاتبة لسكن لوعتى أملى رضاك وزرت غير مراقب  
 لكن مللت فلم تكن لى حيلة صدّ الملول خلاف صدّ العاتب  
 وقد بيأس من نفع العتاب فيقول :  
 سكوتى بلاء لا أطيق أحتماله  
 وقلبى أوفى للهوى غير نازع

(١) رجوع وعودة . (٢) يمننى إياه ، (٣) عتب : لوم .

فَأَقْسِمُ مَا تَرَكِي عَتَابِكَ مِنْ قَلْبِي

وَلَكِنْ لِعِلْمِي أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعٍ

وَإِنِّي إِذَا لَمْ أَلْزِمِ الصَّبْرَ طَائِعًا

فَلأَبْدُ مِنْهُ مَكْرَهًا غَيْرَ طَائِعٍ

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَعْطِفْكَ إِلَّا شَفَاعَةً

فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ لَا يَكُونُ بِشَافِعٍ

وقد يصرخ العباس من تَجَنُّى محبوبته فيقول :

كفى حَزَنًا أَنِي وَفَوْزًا بِبِلْدَةٍ

مُقِيمَانِ فِي غَيْرِ اجْتِمَاعٍ مِنَ الشَّمْلِ

أما والذي نأجى من الطور عبده

وأنزل فُرْقَانًا ، وأوحى إلى النحل

لقد ولدت حَوَاءَ مِنْكَ بَلِيَّةً

على أقاسيها ، وخَبَلًا مِنَ الخَبْلِ

إنَّ أظهر خصيصة لهذا الشاعر هي الكتمان .. إنه يحدثنا أنه كتم الحب

عن حبيبه حيناً من الزمان فيقول :

أملأه قَلْبِي على لِسَانِي

هذا كتابُ بدمع عَيْنِي

أَجَلٌ ذِكْرَ اسْمِهِ لِسَانِي

إلى حَبِيبٍ كَنَيْتُ عَنْهُ

مُنْذُ كُنْتُ فِي سَائِلِ الزَّمَانِ

قَدْ كُنْتُ أَطْوَى هَوَاهُ عَنْهُ

ولم تكن لي به يَدَانِ (١)

فَبُحْتُ إِذْ طَالَ بِي بِلَائِي

\* ونراه يدعو على دموعه التي فضحته وكشفت المستور من أمره فيقول :

لأَجْزَى اللهُ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا

وجزى الله كلَّ خيرٍ لِسَانِي

نَمْ دَمْعِي فَلَيْسَ يَكْتُمُ شَيْئًا

ورأيت اللسانَ ذا كَتْمَانِ

(١) اليد : القوة ، واليدان : مثنى اليد ؛ يقال : مالى بهذا الأمر يدان ؛ أى : لا قوة لي به .

كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طِيٌّ

فاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنْوَانِ

\* ومحبوبته فوز من العقائل النبيلات فى بغداد عرفها الشاعر وأحبها ،  
ولم ير من العقل أن يؤذيها بالافتضاح . إنه يقول :

إذا أحببت أن تصدع      عَ شَيْئًا يُعْجِبُ النَّاسَا  
فصور ههنا فوزاً      وصَوْرَ ثَمَّ عَبَّاسَا  
فإن لم يدنوا حتى      ترى رأسيهما راسا  
فكذبها بما قاست      وكذبها بما قاسى

### قلب ألح عليه الحب !

ويكى قلبه الذى انصدع فيقول :

عدلٌ مِّنَ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأَضْحَكَهَا

فالحمدُ لله عدلٌ كلُّ ما صنعنا

اليوم أبكى على قلبى وأندبه

قلب ألح عليه الحب فانصدعا (١)

ويشكو إلى ربه ما حل به على يد محبوبه فيقول !

إن قالَ لَمْ يَفْعَلْ ، وإن سِيلَ لَمْ

يَبْدُلْ ، وإن عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبِ (٢)

صباً بعضياني ، ولو قال لى

لا تشرب البارد لَمْ أشرب (٣)

إليك أشكورياً ما حل بي

من صد هذا المذنب المغضب (٤)

(١) ألح فى السؤال : وأظب عليه ، والإلحاح هنا : بمعنى الإسراف ، وانصدع : انشق .  
(٢) سيل : سئل . يعتب (بضم الياء وكسر التاء) يَرْضُ . يقال : استعتبت فلانا فأعتبني : استرضيته فرضى .  
(٢) صب : مغرم ، وسكان جزيرة العرب شديدي الوله بشرب الماء البارد لشدة الحر فى بلادهم .  
(٤) الصد والصدود : الإعراض .

## كيف احتراسي من عدوي؟

قلبي إلى ما ضَرَبَ داع      يُكثِرُ أسْقَامِي وأوجاعي  
كيف احتراسي من عدوي إذا      كان عدوي بين أضلاعي؟

\* وقصة «عباس بن الأحنف» إمام العشاق الشرفاء في العصر العباسي ورافع راية الوجدان السليم من أروع قصص الحب والعذاب في الحب ! إن معشوقته تفتح له أبوابا من المنون (الهلاك) .

سَلَبَتْنِي مِنَ السُّرُورِ ثِيَابًا  
وَكَسَتْنِي مِنَ الهمُومِ ثِيَابًا  
كَلِمَا أَغْلَقْتُ مِنَ الوَصْلِ بَابًا  
فَتَحَّتْ لِي إِلَى المَنِيَّةِ بَابًا  
عَدَبَتْنِي بِكُلِّ شَيْءٍ سِوَى الصِّدْقِ  
بَدْفَمَا ذُقْتُ كَالصُّدُودِ عَذَابًا

\* ويحدثنا أن أشعاره كانت تفتح مغاليق القلوب فيقول :

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ  
نَالَ بِهِ العَاشِقُونَ مِنَ عَشِيقُوا  
صَرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ<sup>(١)</sup> نُصِيبَتْ  
تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ !

\* قتيل الحب لاقتيل الحرب !

حاول العاشق أن يداوى مرضه برحلة إلى الحجاز في موسم الحج ، ولكن المرض عوقه في الطريق ، فقال يخاطب الحجاج :

أَزُورُ بَيْتَ اللَّهِ مُرُوءًا بِيْثَرِبِ  
لِحَاجَةِ مَتَبُولِ<sup>(٢)</sup> الضُّوَادِ كَثِيبِ  
وَقُولُوا لِهِمْ : يَا هَلْ يِثْرِبَ أَسْعِدُوا  
عَلَى جَلْبِ لِحَادِثَاتِ جَلِيبِ<sup>(٣)</sup>

(١) الذبالة : الفتيلة التي تُسرج . (٢) تبلة الحب : أسقمه وذهب بعقله فهو متبول كئيب : حزين !  
(٣) أسعدوا : ساعدوا وعاونوا . والجليب : المجلوب .

فإننا تركنا بالعراق أخوا هوى  
تَنَشَّبَ رَهْنًا فِي حِبَالِ شَعُوبِ (١)  
به سقم أعيا مداوين علمه  
سوى ظنهم من مخطئ ومصيب  
إذا ما عصرنا الماء في فيه مجه  
وإن نحن نادينا فغير مجيب (٢)  
خذوا لى منها جرعة في زجاجة  
ألا إنها لو تعلمون طبيبي !  
وسيروا فإن أدركتم بى حشاشة  
لها فى نواحي الصدر وجس دبيب (٣)  
فرشوا على وجهى أفق من بليتى  
يثيبكم ذو العرش خير مثير  
فإن قال أهلى : ما الذى جئتم به ؟  
وقد يحسن التعليل كل أريب (٤)  
فقولوا لهم : جئناه من ماء زمزم  
لنشفيه من دائه بذنوب (٥)  
وإن أنتم جئتم وقد حيل بينكم  
وبينى بيوم للمنون عصيب  
وصرت من الدنيا إلى قعر حفرة  
خليفة صفيح مطبق وكثيب (٦)  
فرشوا على قبرى من الماء واندبوا  
قتيل كعاب (٧) لاقتيل حروب  
يرحمه الله لقد أكرم البغداديون ذكره فسموا باسمه شارعا هو أجمل  
شوارع بغداد آنذاك !

(١) شعوب : الموت . إنه كالتائر الحبيس فى شبكة الموت .  
(٢) مجه : رده ، ولم تقبله نفسه . (٣) حشاشة : بقية الروح فى المريض .  
(٤) أريب : ذكى . (٥) الذنوب : الدلو .  
(٦) الصفيح المطبق : ما يحيط به من حجارة القبر . والكثيب : الرمل .  
(٧) الكعاب كسحاب : الفتاة التى نهد ثديها .

وصلى عليه «المأمون» ولصلاة «المأمون» على العباس معنى من أكرم المعانى ، فما يصلى المأمون على ميت بأمر الرشيد إلا إن كانت للميت مكانة فى المجتمع ، لقد كان يجالس الرشيد ، وكان يصحبه فى بعض الرحلات ، وكان شعره على كل لسان !

### ﴿ كلنا يبكى على سكنه ﴾

\* هو ذا «أبو الفضل العباس بن الأحنف» الشاعر المشهور يرحمه الله !  
لقد كان رقيق الحاشية ، لطيف الطباع ، جميع شعره فى الغزل !  
\* وحكى المسعودى فى كتاب «مروج الذهب» عن جماعة من أهل البصرة قالوا :

خرجنا نريد الحج ، فلما كنا ببعض الطريق ، إذا غلام واقف على المحجة<sup>(١)</sup>، وهو ينادى :  
أيها الناس ، هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟ قال فعَدَلْنَا<sup>(٢)</sup> إليه ، وقلنا له :  
ما تريد ؟

قال : إن مولائى - لما به - يريد أن يُوصيكم ، فملنا معه ، فإذا شخص مُلِّقَى على بُعْدٍ من الطريق لأُحيرُ جواباً ، فجلسنا حوله ، فأحَسَّ بنا ، فرفع طرفه ، وهو لا يكاد يرفعه ضعفاً ، وأنشد :

يا غـريباً الدارِ عن وطنه

مُفْرِداً يبكى على شَجْنِهِ

كلما جَدَّ البُكاءُ به

دبَّتِ الأَسقامُ فى بَدَنِهِ

ثم أغمى عليه طويلاً ، ونحن جلوس حوله ، إذ أقبل طائر ، فوقع على أعلى الشجرة ، وجعل يفرُّدُ ، ففتح عينيه ، وجعل يسمع تغريد الطائر ، ثم أنشأ الفتى يقول :

(١) المحجة : الطريق المستقيم . (٢) ملنا إليه واتجهنا نحوه .

ياغريباً الدارِ عَنِ وطنه

مفرداً يبكي على فَنَنِهِ<sup>(١)</sup>

شَفَّهُ ما شَفَنِي فبكي

كُلُّنا يبكي على سكنه !

قال : ثم تتفسّ تتفسّ فاضت نفسهُ منه ، فلم نبرح من عنده حتى سألنا

الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف !

---

(١) الفنن : الفصن .

## ١١- عبدُ الله بنِ علقمةَ وحبيشةُ !

«عبد الله بن علقمة» فتح عينيه ذات يوم وهو غلام يتيم على «حبيشة» فبهره جمالها ، وكانت فتاةً صغيرة لا تمت إليه بقراءة ، وليست من قومه ؛ فراح يتتهدز الفرص التي تتبجح له أن يتحدث إليها ، وتتحدث إليه ؛ فخرج من عندها ذات يوم ، فنظر إلى ظبية على رابية وقال لأمه ، وهو يشير إلى الظبية :

يَا أُمَّتِي خَبْرِينِي غَيْرِ كاذِبَةٍ

وما يُريدُ مَسْئُولُ الخُبْرِ بالكذب<sup>(١)</sup>

حُبَيْشُ أَحْسَنُ أم ظبى برايبية ؟

لا ، بل حُبَيْشَةُ مِنْ ظبى ومن ذهب<sup>(٢)</sup>

\* ثم انصرف من عندها مرةً أخرى فأمطرته السماء ، فأنشأ يقول :

وما أدري إذا أبصرتُ يوماً

أصوبُ القطرِ أحسنُ أم حُبَيْشُ؟

فلما سمع بذلك قومه قالوا لأمه :

هذا غلام يتيم لامال عنده ، وآل «حبيشة» لا رغبة لهم فيكم ؛ فانظري له

بعض نساء قومه لعله يستلئ عنها ؛

فاختارت له فتاة ذات جمال وكمال ، وزينتها بأحسن زينة ، وعرضتها عليه ،

وأقامتها بين يديه ، فلما نظر إليها قال :

### «مرعى ، ولا كالسعدان!»

فذهبت كلمته مثلاً ، و«السعدان» نبت يرعاه إبل الملوك ، فعلموا أنه

لا ينصرف عن هوى حبيشة ؛

فتواعدوا «حبيشة» ، وقالوا ؛ إذا جاء فأعرضى عنه ، وتجهميه<sup>(٣)</sup> بالكلام؛

رجاء أن ينصرف عنك بعض الانصراف ؛

(١) مَسْئُولُ : هي كلمة مسئول خففت همزتها وسهلت . والخبر (بضم الخاء) الاختبار . أريد ؛ الجواب الصادق .

(٢) الرابية ؛ الربوة العالية . (٣) تجهميه ؛ عامله بجفاء ولا تخضعى له بالقول ؛

فلما رآته لم تستطع أن تفعل ما أمرت به ، غير أنها جعلت تنظر إليه ،  
وتبكي ؛ فعلم بقصتها ، فانصرف وهو يقول :

وما كان حُبِّي عن نوالِ بَدَلْتَهُ

فليس بمُسْئِيةِ التَّجْهِمِ وَالهِجْرِ

ولم أنسَ مِلاَئِشِيَاءَ لَا أنسَ دمعها

ونظرتها حتى يُغَيِّبُنِي القَبْرُ<sup>(١)</sup>

ثم مكثا على حالهما ، وطول وجدهما ، إلى أن وافتهما خيل خالد بن الوليد  
يوم الغميصاء<sup>(٢)</sup> فأخذا فيمن أخذ من الأسرى ، فأوثقا رباطهما ؛ كما حكاه  
المدائني عن أبي حدرد الأسلمي عن أبيه قال : كنت يوم الغميصاء وهو يوم  
بني جذيمة في خيل خالد بن الوليد المخزومي حين وجهه رسول الله ﷺ ،  
فقتل وأسر ، فقال لي فتى منهم - وقد جُمعت يداه إلى عنقه ، ونسوة  
مجتمعات غير بعيد منه - : يا فتى !

هل أنت أخذ بزمام ناقتي ، فقائدي إلى هؤلاء النسوة ، فأقضى إليهن  
حاجةً ، ثم ترى بعد ذلك ما بدا لك ؟

قلت : يسيرٌ ما سألت ! فألحقته بهن ، فوقف عليهن ، فقال :

« اسلمى حُبَيْشٌ على نفاذ العيش ! »

قالت : وأنت فاسلم ، سَعَيْتَ سَقَاكَ رَبِي الفَيْثُ !

ثم قالت : وأنت فحُيِّيتَ عَشْرًا ، وَسَبَّعًا وَتَرًا ، وثمانيا تترى<sup>(٣)</sup> فقال  
الفتى :

أرَيْتَكَ إِذْ طَالَبْتَكُمْ ، فوجدتكم

بَحْلِيَّةٍ أَوْ الفَيْتُكُمْ بِالخَوَانِقِ<sup>(٤)</sup>

(١) مِلاَئِشِيَاءَ : من الأشياء .

(٢) الغميصاء : هو يوم بني جذيمة .

(٣) تترى : متتابعات تجيء الواحدة بعد الأخرى .

(٤) أرَيْتَكَ : كلمة تقولها العرب بمعنى أخبريني . وحليلة والخوانق : موضعان .

ألم يك حقا ان يتوّل عاشق

يُكلّف إدلاج السُرى والودائق<sup>(١)</sup>

فلاذنب لي ، قد قلت إذ نحن جيرة :

أثيبى بوّد قبل إحدى الصفائق<sup>(٢)</sup>

ثم بكى وبكت :

وهكذا كان «عبد الله بن علقمة وحبيشة» مثلا للحب الصادق العفيف :



(١) الإدلاج : السير ليلا . الودائق : الواحدة وديقة : الموضع فيه عشب ، أو بقل . والسُرى : السير ليلا . والإدلاج : اختراق الظلمة .  
(٢) الصفائق : الحوادث .

## ١٢ - عبد الله بن قيس الرقيات

كان هواه فى رقية بنت عبد الواحد ، وكان عبد الواحد ينزل الرقة ، وإياه  
عنى ابن قيس بقوله :

ما خيرُ عيشٍ بالجزيرة بعد ما

عشر الزمان ، ومات عبد الواحد

ولقد شيب بثلاث نسوة سَمَيْن جميعا «رقية» ، ولهذا لُقِبَ بالرقيات ومنهن  
رقية بنت عبد الواحد .

وله فى الرقيات عدة أشعار .

ويعُدُّ ابن قيس الرقيات شاعر قريش بلا منازع !

وفى رقية يقول :

رُقَيْ بَعِيثِكُمْ لَا تَهْجُرِينَا

وَمَتَيْنَا الْمُنَى ، ثُمَّ امْطَلِينَا

عِدِينَا فِى غَدٍ مَا شِئْتَ إِنَّا

نَحِبُ - وَإِنْ مَطَلْتِ الْوَاعِدِينَا

أَغْرَكَ أَنْنى لَا صَبْرَ عِنْدى

عَلَى هَجْرٍ ، وَأَنْكَ تَصْبِرِينَا

وَيَوْمَ تَبِعْتَكُمْ وَتَرَكْتِ أَهْلَى

حَنِينِ الْعَوْدِ يَتَّبِعُ الْقَرِينَا (١)

\* ثم يقول :

رُقَيْيَّةُ تَيِّمَتْ قَلْبِى فَوَاكَبِدِى مِنَ الْحُبِّ

نَهَانِى إِخْوَتِى عَنْهَا وَمَا بِالْقَلْبِ مِنْ عَتَبِ

\* ويصور ما دار بينه وبين عواذله فيقول :

بَكَرْتِ عَلَى عَوَاذِلِى يَلْحَيْنَنِى (٢) وَالْوَمُؤْهِنَةَ

(١) العوُد (بفتح العين) ، الجمل المسن جمعه عوذة كديكة .

(٢) يلحيني ، يلمنى .

ويَقْلُنْ : شَيْبًا قَدْ عَلَا  
إِن الْعَاذِلُ مَنَّانِي  
فِي مَا أُفِيدُ مِنَ الْغَنَى  
وَلَقَدْ عَصَيْتُ النَّاهِيَا  
حَتَّى ارْعَوَيْتُ<sup>(٢)</sup> إِلَى الرَّشَا  
كَ وَقَدْ كَبِّرْتَ فَقُلْتَ : إِنَّهُ<sup>(١)</sup>  
وَلَنْ أُطِيعَ أُمَّوَزَهُنَّ  
وَاللَّهِ سَوْفَ يُهَيِّنُهُنَّ  
تِ النَّاشِرَاتِ جُيُوبَهُنَّ  
دِ ، وَمَا ارْعَوَيْتُ لَنْهَيْهِنَّ

---

(١) إِنَّهُ : بِمَعْنَى نَعَمْ حَرْفُ جَوَابٍ .  
(٢) ارْعَوَيْتُ . كَفَّ وَارْتَدَعَ .

## ١٣- عُرْوَةُ وَعُضْرَاءُ ۞

عُرْوَةُ بن حِزَام «شاعر إسلامي» أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى ، لا يُعرف له شعر إلا في «عُضْرَاء بنت عمه . عقال» .

### حديث عروة وعُضْرَاء

كان من حديث «عروة بن حِزَام» و«عُضْرَاء بنت عقال» أن حِزَامًا مات ، وترك ابنة «عُرْوَةَ» صغيرة في حجر عمه «عِقَال» .

وكانت عُضْرَاء تَرْبِيًا <sup>(١)</sup> لِعُرْوَةَ ، يلعبان جميعا ، ويكونان معا حتى أَلِف كل واحد منهما صاحبه إلفًا شديدًا .

وكان «عِقَال» يقول لعروة - لما يرى من إلفهما - : أبشر ، فإن عُضْرَاء امرأتك إن شاء الله ۞

وظلًّا على حُبهما حتى لحقت عُضْرَاء بالنساء ، ولحق عروة بالرجال ، فأتى عروة عمه له يقال لها : هند بنت مهاصر ، فشكا إليها ما به من حب عُضْرَاء وقال لها في بعض ما يقول لها :

يا عمه إنى لأكلمك ، وأنا منك مُسْتَح ، ولكنى لم أفعل هذا حتى ضقتُ ذُرْعًا بما أنا فيه ، فذهبت عمته إلى أخيها ، فقالت له : يا أخى ، قد أتيتك في حاجة أحبُّ أن تُحَسِّنَ فيها الرد ، فإن الله يأجرُك بصلة رحمتك فيما أسألك .

فقال لها : قولى ، فلن تسألى حاجة إلا ردذتك بها وطلبك مجاب ۞

قالت : تُزَوِّجُ «عروة ابن أخيك بابنتك عُضْرَاء» .

فقال : ما عنه مذهب ، ولا هو دون رجل يرغَب فيه ، ولا بنا عنه رغبة <sup>(٢)</sup> ولكنه ليس بذى مال وليست عليه عَجَلَةٌ ، فطابت نفسُ عروة ، وسكن بعض السكون ۞

(١) مماثلة له في السن ، والجمع اتراب .

(٢) لن نتجه إلى غيره ، فليس فيه ما يجعله أقل ممن نرغب فيهم ۞ ولا بنا عنه رغبة ، أى لا رغبة لنا في غيره ، ولم ننصرف عنه .

## ﴿ عَفْرَاءُ تُخْطَبُ ؛ فَيَتَوَجَّهُ إِلَى عَمِّهِ بِرِغْبَتِهِ : ﴾

وكانت أمها سيئة الرأي فيه ، تريد لابنتها ذا مال ووَقْر ، وكانت أهلا لذلك كمالاً وجمالاً .

فلما تكاملت سنُّ عُرْوَة وبلغ أشدَّهُ عرف أن رجلاً من قومِه ذا يسار ومال كثير ، جاء يخطبُها ، فأتى عمّه ، فقال : يا عمّ ؛ قد عرفت حقي وقرابتي ، وإنى ولدك ورَبِّيتُ فى حِجْرِكَ ، وقد بلغنى أن رجلاً يخطب «عفراء» ، فإن أسعفتُه ، وليبت طلبه ، وحققت أمله قتلتنى ، وسفكت دُمى ؛ ، فأنشدك الله ورحمى وحقى ؛

فرق له ، وقال له : بنى ، أنت مُعَدِمٌ ، وحالنا قريبة من حالك ، ولست مُخرِجُها إلى سِوَاكَ ، وأمها قد أبت إلا أن تُزَوِّجها بمهرٍ غالٍ ، فاسع وانتشِرْ فى الأرض ، وابتغ من فضل الله ؛

فجاء إلى أمها ، فلاطفها ، وداراها ، فأبت أن تجيبه إلا بما هى أهل له من مهر ، وبعد أن يسوق إليها شطره ، فوعدها بذلك .

## ﴿ لا بد من المال ؛ ﴾

وعندئذ علم عروة أنه لا ينفعه قرابة ، ولا غيرها إلا بالمال الذى يطلبونه ؛ فعزم على قصد ابن عم له كان مقيماً باليمن ، وكان موسراً ، وأخبر عمّه وامراته بعزمه ، فصوّبا رأيه ، ووعدها ألا يحدثا حدثاً حتى يعود ؛

## ﴿ رحلته إلى ابن عمه ؛ ﴾

ولقى عفراء ليخبرها بما عزم عليه ثم ودعها ، وودع الحى ، وشد على رحلته ، وصحبه فى طريقه فتَيَّان من بنى هلال بن عامر كانا يالفانه .

وكان طول سفره ساهياً ، يكلمانه فلا يفهم حتى يعيدا القول عليه مراراً ، وكل فكره فى عفراء ؛ تُرى هل ستكون من نصيبه ؟ ؛ وظل على ما هو عليه حتى قدم على ابن عمه ، فلقى ، وعرفه حاله ، وما قدم له ، فوصله ، وكساه ، وأعطاه مئة من الإبل ، فانصرف بها إلى أهله ، وهو يشعر أن أمله قد تحقق ،

وأنه لم يعد هناك حائل دون زواجه ؛ وكان عذراء تستحثه على الإسراع حتى  
يجتمع شملهما ؛

## يزوجونها غيره؛

وفى أثناء سفره جاء رجل من أهل الشام ينتمى إلى بنى أمية نزل فى حى  
عذراء ، فنحر ، ووهب ، وأطعم ، وكان ذا مال عظيم فرأى «عذراء» ، وكان  
منزله قريبا من منزلهم ، فأعجبته ، وتقدم لخطبتها ، فاعتذر إليه أبوها وقال :  
قد سميتها إلى ابن أخ لى يقدلها عندى ، وما إليها لغيره سبيل ؛  
فقال له : إنى أرغبك فى المهر . قال : لا حاجة لى بذلك ، فعاد إلى أمها ،  
فوافق عندها قبولا لبذله ، ورغبة فى ماله ، فأجابته ووعده ، ومازالت  
بزوجها تحاول إقناعه وعدوله عن رايه قائلة :

أى خير فى «عروة» حتى تحبس ابنتى عليه ؛ وقد جاءها الغنى يطرق بابها؟  
والله ما ندرى أعروة حى أم ميت ؟ وهل ينقلب إليك بخير أم لا ؟ إنك بهذا  
تكون قد حرمت ابنتك خيرا حاضرا ، ورزقا حسنا سنينا ، فلم تزل به حتى قال  
لها :

فإن عاد لى خاطبا أجبتة ؛

فوجهت إليه أن عذرا لخطبتها ، فلما كان من غد نحر جزرا<sup>(1)</sup> عدة ، وأطعم  
ووهب ، وجمع الحى معه على طعامه ، وفيهم أبو عذراء ، فلما طعموا أعاد  
القول فى الخطبة ، فأجابه ، وزوجه ، فساق إليه المهر ، وحولت إليه عذراء ،  
وقالت قبل أن يدخل بها :

يا عروء إن الحى قد نقضوا عهد الإله ، وحاولوا الغدرا ؛

فلما كان الليل دخل بها زوجها ، وأقام فيهم ثلاثا ، ثم ارتحل إلى الشام ،  
وعمد أبوها إلى قبر عتيق فجدده وسواه ، وسأل الحى كتمان أمرها ، حتى إذا  
جاء «عروة» أخبره أنها ماتت وهذا قبرها ؛

(1) جمع جزور ، والمراد الجمال .

ولكن تشاء الأقدار ، أن يفتضح أمره ؛ إن عروة قد أعد نفسه ، وها هوذا قادم فى الطريق يسوقُ مَهْرَهُ ، ولم يعد لعمه ولا لزوجه عذر فى رفض عروة ، وتفضيل غيره عليه نظرا لفقره ، فهاهو ذا قد هَيَأَ نفسه ، واستعد كل الاستعداد ، ولكن عند صفو الليالى يحدث الكدر ؛

لقد أقبل عروة فى غيرهِ تلك ، حتى إذا كان «بتبوك» ، نظر إلى رَفْقَةٍ مقبلة من نحو المدينة فيها امرأة على جمل أحمر ، فقال لأصحابه :  
والله لكانها شمائل<sup>(١)</sup> عفراء ؛

قالوا : ويحك ؛ ما تترك ذكر عفراء لشيء ؛

قالوا : وجاء القوم ، فلما دنوا منه ، وتبين الأمر تَسَمَّرَ فى مكانه لا ينطق ، ولا يتحرك ، ولا يرد جوابا ، وظل هكذا حتى بَعَدَ القوم ، فذلك قوله :  
وانى لتعزوني لتكراركِ رعدةً

لها بين جلدى والعظام دبيب

فما هو إلا أن أراها فجاءة

فأبتهت حتى ما اكادُ أجيبُ

وعندئذ عرف الحقيقة ، وخاب أمله ، وانقطع رجاؤه ؛

وجنّ جنونه ؛

ثم انصرف إلى أهله باكيا محزونا ، فأخذته الهلاس<sup>(٢)</sup> و ضعفت قوته ،

وساءت صحته ؛

وقال قوم : هو مسحور ؛

وقال قوم : به جنة ؛

ومرّضه أهله زمنا طويلا ، وذات يوم ، قال لنساء قومه : أعلمتن انى لو

نظرت إلى «عفراء» ذهب وجعى ، وزال ما بى ؛ فخرجوا به ، حتى نزلوا

(١) جمع شمال ، الخلق والطبع .

(٢) الهلاس : (بضم الهاء) شدة السلال من الهزال .

«البلقاء» مستخفين ، وهناك كان يتابع أخبارها عن قرب مكتفيا بهذا !!

فلما سمع زوجها بمقدمه ، قال :

لو كنت قد علمت ، لضممته إلى منزلي !!

لأبحثن عنه غدا ، ولأستضيفنه !

فلما أصبح راح يستدل عليهم حتى جاءهم ، فقال لهم :

أراكم : وقد قَدِمْتُمْ ، ولم تروا أن تُعلموني ، فيكون منزلكم عندي ، ثم حلف

لا يكون نزولهم إلا عليه !

قالوا : نعم ؛ نتحوّل إليك الليلة أوغدا .

فلما ولى قال «عروة» لأهله : قد كان من الأمر ما ترون ، فالحقن بقومكن ، فإنه لا بأسَ على .

فركبوا مَطِيَّهْم ، وارتحلوا ، فَنكس (١) ، فلم يزل مدنفا (مريضا) حتى نزل

بوادى القُرى . ومعه عجوز تمرضه !

وهناك لقي ربه غريبا شريدا!

فلما بلغ «عفراء» موته قالت فى نعيه :

إلا أيها الركبُ المُخبونُ وِنَحْكُمُ

بِحَقِّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بنِ حِزَامِ (٢) ؟

فلا نَفَعَ الضَّيَّانَ بَعْدَكَ لُدَّةٌ

ولارجعوا من غَيْبَةِ بِسَلَامِ

وقل للحبائلى : لا يُرْجَيْنِ غَائِبَا

ولا فَرِحَتْ من بَعْدِهِ بِغُلَامِ

فما زالت تردد هذه الأبيات حتى فاضت روحها ، وبلغ الخبر معاوية ، فقال:

لو علمت بحال هذين الشريفين لجمعت بينهما (٣) !!

(١) نكس : ساءت صحته واشتدت حالته !

(٢) المخبون : المسرعون .

(٣) فى الحلال . أى : قبل فوات الأوان !

## ✍️ آخر ما قاله عروة بن حزام :

وحكى عن ابن ابي عتيق قال :

بينما انا أسير فى ارض «بنى عذرة» إذا انا ببیت حریر ، فدنوت منه ، فإذا عجوز تمرض شابا ، وقد نهكته العلة . وبانت عليه الذلة ، فسالتها عن خبره ، فقالت : هذا عروة بن حزام ، فدنوت منه ، فسمعتة يقول :

مَنْ كَانَ مِنْ أُمَّهَاتِي بَاكِيًا لَعْدِرِ

فَالْيَوْمَ ، إِنِّي أُرَانِي الْيَوْمَ مَقْبُوضًا

تَسَمَّيْتُهُ ؛ فَإِنِّي غَيْرُ سَامِعِهِ

إِذَا عَلَوْتُ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضًا

فقلت : أنت عروة بن حزام ؟ قال : نعم ، انا الذى اقول :

فَلَهُضَى عَلَى عَفْرَاءٍ لَهْفًا كَأَنَّهُ

عَلَى النَّخْرِ وَالْأَحْشَاءِ حَدُّ سِنَانٍ (١)

فَعَفْرَاءٌ أَحْظَى النَّاسَ عِنْدِي مَوْدَةً

وَعَفْرَاءٌ عَنِّي الْمَعْرُضُ الْمَتَوَانِي

ثم خفق خفقة ، فإذا هو قد فارق الدنيا . وهكذا بلغ العشق من عروة بن حزام أن أفرده ببلائه ، وعذبه بدائه ، وأنسه بانفراده ، وشرده عن بلاده :



(١) السنان ، طرف الرمح ونصله :

## ١٤- عنتره وعبله

عنتره بن شداد العبسى بطل «حرب داحس والغبراء» بلا مدافع. كان أبوه «شداد» من سادات عبس وشجعانها ، وكانت أمه جارية حبشية تسمى «زبيبة» .

وكان من تقاليد الجاهليين أن لا يلحقوا أبناءهم من الجوارى بنسبهم ، إلا إذا شبوا ، وأبدوا شجاعة ، وبسالة فذة ، وإلا ظلوا عبيداً أذلاء .

وكان عنتره أسود اللون ، فاجتمع عليه فى رأيهم ذلان : ذل الأم ، وذل اللون الذى ورثه عنها ، فتدرب على الحرب والفروسية ، دون أن يآبه له أحد ، وأحب عبلة ابنة عمه حبا ملك عليه كل حواسه ، ولكنه عبد ، وهى حرة ... لن يستطيع إليها الصعود ، ولن تستطيع إليه النزول! وحدث أن أغارت بعض أحياء العرب على حيه ، فأصابوا منهم ما أصابوا ، واستاقوا إبلا لهم ، ولكن عنتره الذى لم يكن يحسن فى نظر أبيه غير الحلاب والصر<sup>(١)</sup> - يثور لقومه فيكر عليهم ، ويبلى بلاء حسنا فى حرب عدوهم ، واستنقاذ الإبل من بين أيديهم ، وبلغت الأنظار إليه ، ويرغم الجميع على احترامه ، والاعتراف به !! ويشجعه أبوه فيهدف به: يا عنتره كُرِّ وأنت حر ، وكر عنتره حتى نال حرته! لقد فرح له أبوه ، وألحقه بنسبه ، ورد عليه حرته ، فأصبح فى عداد الأحرار ، ومحا عن نفسه ذل ولادته ، وذل لونه ! وكان يُكنى لعبلة ابنة عمه مالك حبا ملك عليه أحاسيسه ، وملا قلبه وعقله ، ولكنه لم يكن يجهر بهذا الحب لما هو عليه من العبودية !

فلما نال حرته تقدم إلى عمه يطلب يد ابنته عبلة ، ولكنه رفض طلبه ، فحز ذلك الرفض فى نفس عنتره ، ولكنه ظل مفتونا بها ، هائما ، أشد ما تكون الفتنة والهيام!

(١) الحلاب : حلب الناقة ونحوها مما يحلب ، أما الصر فقد كان من عادة العرب أن يصروا الناقة ونحوها ، أى يشدوا ضرعها بخيط يشد فوق الضرع لئلا يرضعه الولد ، وهذا الخيط يسمى الصرار ، وذلك العمل يسمى الصر ، وكان العبيد يقومون بالحلاب والصر ، أما الكر والفر فمن شأن الأحرار .

وتفجر ينبوع الشعر على لسانه نبعا عذبا ، فاتخذه أداة للتعبير عن بطولته الحربية ، وحبه الظامئ لابنة عمه التي شغف بها، وفتن بجمالها وإثبات شخصيته لديها ، فيقول في أحرج المواقف وأقسى الظروف :

ولقد ذكرك والرماح نواهل

مِنِي ، وبيضُ الهند تقطرُ من دمي ! (١)

فوددت تقبيل السيوف لأنها

لمعت كبارقِ ثغركِ المتبسّم

وهو لا يكتفى بتقديم بطولته الحربية لصاحبه كي ترضى عنه ، وتبادلها حبا بحب - فإنه يقدم لها بطولته النفسية ، والخلقية فيقول في معلقته :

أثني على بما علمت فإنني

سَمَحُ مخالفتي إذا لم أظلم (٢)

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل (٣)

مر مذاقته كطعم العلقم

هلا سألت الخيل ابنة مالك

إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يُخبرك من شهد الوقائع أنني

أغشى الوغى (٤) وأعف عند المغنم

إن قصة عنتره هي قصة فارس الفوارس بطل قبيلة عبّس وحمى ذمارها .

حب وصد :

لقد أحب عنتره عبلة حبا ملك عليه قلبه و حواسه ، فيقول :

يادارَ عبلة بالجِواءِ تكلمى وعمى صباحا - دارَ عبلة - واسلمى (٥)

ولكن الحبيبة فيما يبدو لم ترحب بحب يحملها لها عبد أسود مشقوق

الشفة!

(١) الرماح جمع رمح ، نواهل : تشرب من دمي حين تصيبني ، وبيض الهند : كناية عن السيوف !

(٢) مخالفتي : معاشرتي . وفي بعض الروايات : مخالفتي .

(٣) الباسل : الكريه . (٤) الوغى : الحرب .

(٥) الجواء : الواسع من الأودية . وعمى صباحا : تحية عربية جاهلية : دعاء لها بأن تنعم بصباحها .

ولم يصد جفاؤها عنترة ، بل لج في هواها الذي استبد بقلبه ، وامتك  
تفكيره .

وإذا كانت عبلة اكتفت بالجفاء المهذب ، فإن أهلها رفضوا عنترة رفضا باتا ،  
وزوجوا ابنتهم رجلا آخر ارتحل بها ؛ وكان هذا المسلك المهين لعنترة ملهما إياه  
أن يكون ملء الأعين والأسماع ، وقد بلغ ما أراد ، يقول عنترة معاتبا :  
عجبت عبيلة من فتى متبدل<sup>(١)</sup>

عارى الأشاجع ، شاحب كالمُنصل<sup>(٢)</sup>  
فتضاحكت عجا ، وقالت قولة :

لا خير فيك ، كأنما لم تحفل<sup>(٣)</sup>  
فعجبت منها كيف زلت عينها

عن ماجد ، طلق اليدين شمردل  
لا تصرمينى - يا عبيل - وراجعى<sup>(٤)</sup>

فى البصيرة نظرة المتأمل  
يا عبيل كم من غمرة باشرتها<sup>(٥)</sup>

بالنفس ما كادت - لعمرك - تنجلي<sup>(٦)</sup>

وعلى الرغم من هذا الصد ، وذاك الرفض ، فإن عنترة لم يصد عنها ، او  
يحرمها مكانتها من قلبه ... مكانة الود والإكرام ، إنه يقول لها :  
ولقد نزلت - فلا تظنى غيري  
- مئى بمنزلة المحب المكرم

وظلت حياة عنترة مثلا فى الحب والشجاعة تنتقل على مدى الأيام من  
الخاصة إلى العامة محاطة بالتقدير والإعجاب والاحترام.

(١) عبيلة ، تصغير عبلة ، وقد يدل التصغير على التمليح أحيانا وقد يدل على التحقير أحيانا  
أخرى ، ومتبدل : غير متزين ولا متجمل .

(٢) الأشاجع : عروق ظاهر الكف ، وعرى الأشاجع كناية عن نحافته وعدم تنعمه . ويفسر ما  
بعده : شاحب كالمُنصل : وهو السيف .

(٣) لم تحفل : لم تهتم .

(٤) الشمردل ، الصبى الجلد القوى ، وقالوا : جمل شمردل ، وناقاة شمردلة لقوة سيرها .

(٥) لا تصرمينى ، لا تقطعى ودى ، والصترم بفتح الصاد : القطع .

(٦) الغمرة : الشدة . (٧) لعمرك : قسم ، وحياتك .

إنها قصة الشجاعة النادرة !  
قصة القلب الذى شغفته عبلة حُبًّا !  
ولكن ماذا يفعل عنتره؟

لقد وجد شفاء نفسه فى الحرب حيث يقول :  
ولقد شفى نفسى وأبرا سقمها

قيل الفوارس : وَيَكْ عَنْتَرَا قَدِمُ (١)

وخرج من الحرب بطلا يتحدث ببطلوته الرائع والغادى وإن كان قد خسر  
عبلة!

لقد رفع السيف عنتره إلى منزلة الفروسية ، وألهمته البطولة روائع من  
القول جعلته فى الصف الأول من شعراء الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ،  
وعلى كثرة الشعراء الفرسان فى تاريخ الشعر العربى يقف عنتره ثالث ثلاثة  
بلغوا فى الحرب والشعر منزلة فريدة، وكانت حياته امتزاجا بين هذين  
الجانبين ، وقسمة تكاد تكون متساويةً بين السيف والقلم .

---

(١) ويك : كلمة مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهم قالوا : عجبا لك يا عنتره !  
أقدم .  
أو هى مخففة من ويك أو ويحك .

## مجنون ليلي

جُن . بليلى ، وقد شغفها حُبَّ قيس !

إنه مجنون بنى عامر الشاعر الذى قتله العشق .

قال أبو عمرو الشيبانى ، وأبو عبيدة :

كان المجنون يهوى ليلي بنت مهدي ، وتكنى أم مالك وهما حينئذ صبيان ،  
فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشى أهلهما ، فلم يزالا كذلك  
حتى كبرا ؛ فَحُجِبَتْ عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله :

تعلقت ليلى وهى ذات ذؤابة

ولم يبد لأتراب من ثديها حَجْمٌ<sup>(١)</sup>

صغيرين نزعى البهيم ياليت أننا

إلى اليوم لم تكبر ، ولم تكبر البهيم<sup>(٢)</sup>

## سبب عشق المجنون ليلي !

قالت : تشاغلْتُ عنه ذات يوم بغيره ، وجعلت تُعرض عن حديثه ساعة ،  
وتحدتْ غيره لتعرفَ مدى صدقه فى حبه ؛ فإذا وجهه قد تغير ، وإذا لونه قد  
انتقع ، وشق عليه فعلها ، فأنشأت تقول :

كَلانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بَغْضًا      وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ  
تُبَلِّغُنَا الْعَيَّونَ بِمَا أَرَدْنَا      وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوَى دَفِينُ

فما سمع البيتين حتى شهق شهقةً شديدةً ، وأغمى عليه ، فمكث على ذلك  
ساعة ، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق !، وتمكن حب كل واحد منهما فى  
قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ !

(١) الذؤابة : شعر الناصية .

(٢) البهيم (بفتح الباء ) جمع بهمة ، وهى الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر .

## خطبته ليلي واختيارها عليه غيره !

ويقول أبو الفرج الأصبهاني في الجزء الثاني من الأغاني : لما شُهر أمر المجنون وليلى ، وتناشد الناس شعره فيها ، خطبها ، وبذل لها خمسين ناقة حمراء !

وخطبها «ورد بن محمد العقيلي» ، وبذل لها عشرة من الإبل وراعيها ، فقال أهلها : نحن مُخَيَّرُوهَا ؟ فمن اختارت تزوجته ، ودخلوا عليها فقالوا : والله لئن لم تختاري «وردا» لتمثلن بك !

فقال المجنون :

ألا ياليل إن مُلِّكْتَ فينا خيارك ، فانظري لمن الخيار !؟

فاختارت «وردا» ، فتزوجته على كُرْهِهَا .

وكان العرب لا يزوجون من تناول ابنتهم في شعره ، وذاع حبه على كل لسان

فأنشأ يقول :

عرضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي :

من الآنَ فإياس لا أعزَّك من صبرا

إذا بان من تهوى . وأصبح نائيا

فلا شيء أجدى من حُلُوك في القبرا<sup>(١)</sup>

وهام على وجهه !

## وهكذا بلغ به العشق !

وبلغ العشق من مجنون بني عامر أن أخرجه إلى الوسواس والهيْمان ، وذهاب العقل ، وكثرة الهذيان ، وهبوط الأودية وصعود الجبال ، والوطء على العوسج<sup>(٢)</sup> ، وحرارة الرمال ، وتمزيق الثياب ، واللعب بالتراب ، والرمي بالأحجار ، والتفرد بالصحارى ، والاستيحاش من الناس ، والاستئناس بالوحش ، حتى كان لا يعقل عقلا ، فإذا ذكرت له ليلي تاب إليه عقله ، وأفاق من غشيته ، وتجلت عنه غمرته ، وحدثهم عنها أصح الرجال عقلا ،

(١) بان : بعد . نائيا : بعيدا . (٢) الشوك .

وأخلصهم ذهنًا ، لا ينكرون من حديثه شيئًا ؛ فإذا قطع ذكرها رجع إلى  
وسواسه وهذيانه ، وتماديه في ذهاب عقله .

وقد حكى عنه في أول ابتداء وسواسه أنه قيل لأبيه : لو أخرجت قيسا أيام  
الموسم ، وأمرته أن يتعلق بأستار الكعبة ، ويقول : «اللهم أرحني من حب ليلي» ،  
لعل الله كان يريجه من ذلك ففعل ، فلما طاف بالبيت أمره ، فتعلق بأستار  
الكعبة ، فقال : اللهم زدني ليلي حُبًّا إلى حبها ، وأرني وجهها في خيرٍ  
وعافيةٍ ، فضربه أبوه ، فأنشأ يقول :

ذكرتك والحجيجُ له ضجيجُ      بمكة والقلوبُ لها وجيبُ<sup>(١)</sup>  
فقلت ونحن في بلد حرامٍ      به لله أخلصت القلوبُ  
أتوبُ إليك يارحمنُ مما      عملت فقد تظاهرت الذنوبُ<sup>(٢)</sup>  
وأما من هوى ليلي وتركي      زيارتها ، فإنني لا أتوبُ  
وكيف وعندها قلبي رهينُ      أتوب إليك منها أو أنيب<sup>(٣)</sup> ؟

وقال أيضا :

دعا المحرمون الله يستغفرونه      بمكة شعنا ، كي تمحى ذنوبها  
وقلت لرب الناس : أول سُؤلتني      لنفسي ليلي ثم أنت حسيها<sup>(٤)</sup>  
فإن أعط ليلى في حياتي لا يتبُّ      إلى الله عبد توبة لا أتوبها  
لقد ظل يدعو قائلًا :

اللهم زدني ليلي حُبًّا ، وبها كلفًا ، ولا تنسني ذكرها أبداً ! ، ثم أنشد :

يارب لا تحرمني حُبها أبداً      ويرحم الله عبداً قال آمينا !!

وهام بعدها على وجهه في البرية مع الوحش ، ولم يكن يأكل إلا ما ينبتُ  
في البرية من بقل ، ولا يشرب إلا مع الطباء إذا وردت مناهلها ، وطال شعر  
جسده ورأسه ، وألفته الطباء والوحوش فكانت لا تتفر منه .

وجعل يهيم حتى بلغ حدود الشام ، فإذا تاب إليه عقله سأل من يمر به من  
أحياء العرب عن نجد ، فيقال له :

(١) وجيب : صوت واضطراب . ودقات عالية .  
(٢) تظاهرت : كثرت .  
(٣) أنيب : أرجع .  
(٤) سؤلتني : سؤالي .

وأين أنت من نجد ؟ قد شارفتَ الشام ! أنت فى موضع كذا ، فيقول ،  
فأرونى وجهة الطريق ، فيرحمونه ، ويعرضون عليه أن يحملوه أو يكسوه  
فيأبى إلا أن يدلوه على طريق نجد ، فيتوجه نحوه ! ويحكى أنه لما زوجت ليلى  
بالرجل الثقفى سمع المجنون رجلا من قومها يقول لآخر : أنت ممن يشيع  
ليلى ؟ قال : ومتى تخرج قال : غدا ضحوة ، أو الليلة ، فبكى المجنون ثم قال :

كان القلب ليلة قيل يُغدى      بليلى العامرية أويراح  
قطاة عزها شرك فباتت      تجاذبه . وقد علق الجناح (١)

### سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها !

وظل هائما على وجهه حتى مر بزواج ليلى ، وهو جالس يصطلى (٢) فى يوم  
شات ، فوقف عليه ، ثم أنشأ يقول :

برئك هل ضممت إليك ليلى  
قُبَيْلِ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَاهَا  
وهل رقت عليك قُـرُونٌ لَيْلَى

رفيف الأَقْحُوَانَةِ فى نَدَاها ؟ (٣)

فقال زوجها : اللهم إذ حَلَفْتَنِي ، فنعم .

قال : فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر ، فما فارقهما حتى  
سقط مغشيا عليه ، وسقط الجمر مع لحم راحتيه ، وعض على شفته  
فقطعها ، فقام زوج ليلى مغموما بفعله ، متعجبا مما رآه منه !!

(١) عزها : غلبها . والقطاة كالحمامة .

(٢) يصطلى : يستدفئ .

(٣) القرون : الذوائب والصفائر ، ورفقت : لعنت ولألت من رفيف الأَقْحُوَانَةِ وهى البابونج والمراد ، اهتزازها نصارة وخسئا . هذا ، والعقل مناط التكليف والمؤاخذة :

## ﴿مجنون ليلي وحمامة تبكي إلفها﴾

بات «المجنون» فى بعض لىالى حَجَّه تحت شجرة ، فانتبه بنوحِ حَمَامَةٍ  
فأنشأ يقول :

لقد هتفت فى جُح ليلِ حَمَامَةٍ  
على فَنَنِ (١) تدْعُو ؛ وإنى لَنَائِمٌ  
فقلت - اعتذاراً عند ذاك ، وإننى  
لِقَلْبِي ، فيما قد رأيتُ لَلَأَثْمُ !  
أَزْعَمُ أنى عاشِقٌ ذُو صَبَابَةٍ  
بَلِيلى ، ولا أبكى ، وتبكى الحمامُ !  
كذبتُ - ويبتِ الله - لو كنتُ عاشِقاً  
لما سَبَقْتَنى بالبُكاءِ الحَمائمُ !

## ﴿المجنون وشبه ليلي﴾

ومرَّ المجنون برجلين قد صادا ظبية فربطاهما بحبل ، وذهبا بها ، فلما نظر  
إليها ، وهى تركُض فى حبالها ، دَمَعَتْ عيناه ، وقال لهما : حلاها ، وخذَا  
مكانها شاةً من غنمى ، فأعطاهما وحلأها ، فولت تعدو هاربة !  
وقال فيها وقد نظر إليها وهى تعدو أشدَّ عدو هاربة مدَّعورة :  
أيا شَبَّهَ لىلى لا تُراعى فإننى  
لك اليومَ من وَحْشِيَّةٍ لَصِديقُ  
ويا شَبَّهَ لىلى لو تَلَبَّثتِ سَاعَةً  
لعلَّ فـؤادى من جـواه يُفـيـقُ  
تَفِرُّوقد أطلقتُها من وثاقِها  
فـأنتِ لىلى - لو عَلِمْتِ - طليقُ

(١) فنن : غصن ، والجمع أفنان .

## ﴿ اللقاء الأخير ﴾

ومر المجنون - بعد اختلاطه<sup>(١)</sup> - بليلى ، وهى تمشى فى ظاهر البيوت بعد فَنَقْدٍ طويل لها ، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقوها عنده فمكث طويلاً ، ثم أفاق !

وأنشأ يقول :

بكى فرحاً بليلى إذ رآها      مُحِبًّا لا يرى حَسَنًا سواها  
لقد ظفرت يدها ، وطاب عيشاً      لئن كانت تراه كما يراها

وهكذا عاش المحبان على أمل اللقاء !

إن قصة قيس بن الملوح هى قصة المتيم المكبول الذى يقضى دهره أسيراً لهوى واحد إلى أن يصاب بالجنون ! . فهى قصة تمثل لونا من ألوان الحياة الغرامية يجذب إليه كل المحبين !

## ﴿ غزتى جنود الحب ﴾

وجاء فى الأغاني أن المجنون مر فى توحشه فصادف حى ليلى راحلاً ، ولقيها فجأة فعرفها وعرفته ، فصعق وخر مغشياً عليه ! .  
وأقبل فتیان من حى ليلى فأخذه ، ومسحوا التراب عن وجهه ، وأسندوه إلى صدورهم ، وسألوا ليلى أن تقف له وقفة .

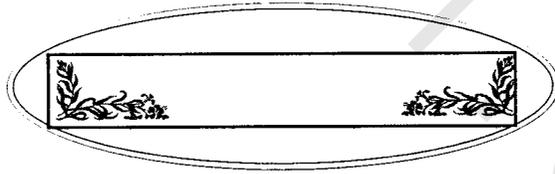
فرقت لما رآته به ، وقالت : أما هذا فلا يجوز أن أفتضح به ، ولكن يا فلانة - لأمة لها - : اذهبي إلى قيس ، فقولى له : ليلى تقرأ عليك السلام ، وتقول لك : أعزّز علىّ بما أنت فيه ؛ ولو وجدت سبيلاً إلى شفاء دائك لوقيتك بنفسى منه ، فمضت الوليدة إليه ، وأخبرته بقولها : فأفاق و جلس ، وقال : أبلغها السلام ، وقولى لها : هيهات ! إن دائى و دوائى أنت ، وإن حياتى ووفاتى لفى يديك ، ولقد وكلت شقاء لازماً ، وبلاء طويلاً ، ثم بكى ، وأنشد يقول :

أقول لأصحابى : هى الشمس ضوءها

قريب ، ولكن فى تناولها بُعد

(١) ذهاب عقله .

لقد عارضتنا الريحُ منها بنفحةٍ  
على كبدى من طيبِ أرواحها بردُ  
فمازلتُ مَغشِيًّا علىّ، وقد مضت  
أناةٌ، وما عندي جوابٌ ولا ردُّ  
ولم يبقَ إلا الجلدُ والعظمُ عارياً  
ولاعظُمَ لى - إن دام ما بى - ولا جلدُ  
أدنىائى مالى فى انقطاعى وغرئتى  
إليك ثوابٌ منك دينٌ ولا نَقْدُ  
عدينى، بنفسي أنت، وعداً، فرئماً  
جَلا كُربةَ المَكْرُوبِ عن قلبه الوعدُ  
وقد يُبتلى قومٌ، ولا كَبَلِيَّتى  
ولا مثلَ جدِّى فى الشقاء بكم جدُّ (١)  
غزرتنى جنودُ الحبِّ من كلِّ جانبٍ  
إذا حان من جندِ قُفُولِ أتى جُنْدُ (٢)



(١) الجَدُّ : الحظ .  
(٢) القُفُول : الرجوع .

## ١٦- قيس ولبنى

هو قيس بن ذريح ، كان رضيع الحسين بن علي رضي الله عنهما ، أرضعته أم قيس بنت الذاهل بن عامر الخزاعي .

كان منزل قومه في ظاهر المدينة أو في «سرف» ، فمر قيس لبعض حاجته بخيام بنى كعب بن خزاعة ، فوقف على خيمة منها ، والحى خُوف<sup>(١)</sup> ، والخيمة خيمة لبني بنت الحباب الكلبية ، فاستسقى ماء فسقته ، وخرجت إليه به ، وكانت امرأة مديدة القامة ، حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت في نفسه ، فقالت له : اتنزل فتبتري عندنا ؟

قال : نعم ، وجاء أبوها ، فنحرت له ، واکرمه ، فانصرف قيس ، وفي قلبه من «لبنى» حرّاً لا ينطفئ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ، وصار على لسان الرائح والغادي .

ثم أتاها يوماً آخر ، وقد اشتد وجده بها ، فسلم فظهرت له ، واحتضت به ، فشكا إليها ما يجده ، وشكت إليه مثل ذلك فأطالت ، وعرف كل واحد ماله عند صاحبه ، فانصرف قيس إلى أبيه ، وأعلمه حاله ، وسأله أن يزوجه إياها ، فأبى عليه ، وقال : «يا بُنى ، عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك» .

وكان «ذريح» كثير المال موسراً ، فأحب ألا يخرج إلى غريبة ، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به :

فأتى إلى أمه فشكا إليها ، واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحب :

فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - وابن أبي عتيق ، فشكا إليهما ما به ، وما رد عليه أبوه ، فقال له الحسين : «أنا أكفيك» .

فمشى معه إلى أبي لبني ، فلما بصر به أعظمه ، وقال :

يا بن بنت رسول الله ﷺ ؛ ما جاء بك ، ألا<sup>(٢)</sup> بعثت إليّ فأتيتك ؟ إن الذي جئت فيه يوجب قصدك .

وقد جئتك خاطباً ابنتك لبني لقيس بن ذريح .

(١) غائبون متخلفون . (٢) ألا مثل هلاً .

فقال : يا بن بنت رسول الله ، ما كنا لِنَعصِيَّ لك أمرا ، وما بنا رغبة عن الفتى<sup>(١)</sup> ، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها أبوه ذريح ، وأن يكون ذلك عن أمره فإنى أخاف إن لم يَسْعَ أبوه فى هذا أن يكون عارا وسبَّةً علينا ؛

فاتى الحسين - رضى الله عنه - ذريحا وقومه ، وهم مجتمعون فقال لذريح : أقسمت عليك إلا خطبت لُبْنَى لابنك قيس ؛ قال : السمع والطاعة لأمرك ؛

فخرج معه فى وجوه من قومه ، حتى أتوا لبنى ، فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وزُقَّتْ إليه بعد ذلك ؛ فأقامت معه مدة لا يُنْكَرُ أحد من صاحبه شيئا .

وكان قيس أبرَّ الناس بأمه ، فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك ؛ فوجدت<sup>(٢)</sup> أمه فى نفسها ، وقالت :

لقد شغلت هذه المرأة ابنى عن برى ؛ ، ولم تر للكلام فى ذلك موضعا حتى مرض قيس مرضا شديدا ؛ فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه :

لقد خشيت أن نُفْجِعَ فى قيس ، وما يترك خلصا ، وقد حرم الولد من هذه المرأة ، وانت ذو مال ، فمن يرثه ؟؛

فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولدا ، وألحت عليه فى ذلك فأمهل ذريح قيسا حتى إذا اجتمع قومه دعاه ، وقال :

يا قيس ، إنك اعتلتت هذه العلة ، فخفضت عليك ، ولا ولد لك ، ولا لى سواك ، وهذه المرأة ليست بولود ، فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله يهب لك ولدا تَقْرُ به عينك وأعيننا .

فقال قيس : لست متزوجا غيرها أبدا .

فقال له أبوه : فإن فى مالى سعة ، فأخذ جارية سرية لك تكون أم ولد .

قال : ولا والله لا أسوؤها بشيء ؛

(١) رغبة عنه : انصراف وعدول . (٢) حزنت .

قال أبوه : لا أرضى أو تطلقها ، وحلف لا يكنه سقف بيت أبدا حتى يطلق  
لبنى !

فكان يخرج ، فيقف في حرِّ الشمس ، ويجيء قيس فيقف إلى جنبه فيظله  
بردائه و يصلّي هو بحر الشمس حتى يفىء الفء فينصرف عنه ، ويدخل إلى  
لبنى فيعانقها وتعانقه ، ويبكى ، وتبكي معه !  
ويقال : إنه مكث كذلك سنة حتى طلقها .

قال أبو الفرج : قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح أبي قيس :  
أحلُّ لك أن فرقت بين قيس ولبنى ؟!

أما إنى سمعت عمر بن الخطاب يقول : «ما أبالى أفرقت بين الرجل  
وامرأته ، أو مشيت إليهما بالسيف» .

قالوا : فلما بانث لبني بالطلاق ، لم يلبث قيس حتى استطير عقله ، وذهب  
به ، ولحقه مثلُ الجنون ، وتذكر لبني وحالها معه ، فأسف وجعل يبكي وينشج  
أحر نشيج !

وأرسلت لبني إلى أبيها ليحتملها ، وقيل بل أقامت حتى انقضت عدتها .  
وأقبل أبوها بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها ، فلما علم بذلك قيس أقبل  
ليلمَّ بخباء لبني وسألها عن رحيلها ، فمنعه قومها ، فأقبلت عليه امرأة من  
قومه ، فقالت له :

«ويحك ! تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل ، هذه لبني ترحل الليلة أو غدا» !  
فسقط مغشيا عليه لا يعقل !

قال أبو الفرج : فلما ارتحل قومها اتبعها ملياً ، ثم علم أن أباه سيمنعه ،  
فوقف ينظر إليها ، ويبكى حتى غابوا ، فكرر راجعا ، ونظر إلى خُفِّ بغيرها ،  
فأكبَّ عليه يقبله ، ورجع يقبل موضع مجلسها ، وأثر قدمها قائلا :

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل إثر من وطئ الترابا  
فلما جنَّ الليل ، وانفرد ، وأوى إلى مضجعه لم يغمض له جفن ، وظل يتقلب

فى فراشه ، ويتململ كالملدوغ ، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ، ويقول :

بِتْ وَالْهَمَّ يَا بُيْتِي ضَجِيئِي

وَجَرَّتْ مُذْ نَأَيْتْ عَنِّي دُمُوعِي

وَتَنَفَسْتُ إِذْ ذَكَرْتُكَ حَتَّى

زَالَتْ الْيَوْمَ عَنْ فِؤَادِي ضُلُوعِي

يَا بُيْتِي فَدَتُّكَ نَفْسِي وَأَهْلِي

هل لدهر مضى لنا من رجوع ؟!

## 📖 ماذا كان مصير قيس ؟

هناك أقوال كثيرة :

\* قالوا : جعل قيس يعاتب نفسه فى طاعته أباه فى طلاق لبني ، ويقول لنفسه :

هلا رحلت بها عن بلده ، فلم أر ما يفعل ، ولم يرني ، فكان إذا فقدني أقْلَع عما يفعله .

وإذا فقدته لم أتخرج من فعله ، وما كان على لو اعتزلته فاقمت فى حيتها ، أو فى بعض بوادى العرب ، أو عصيته : فلم أظْغَه؟ هذه جنائتي على نفسي ، فلا لوم على أحد ، وكلما قرع نفسه ، وأنبها بلون من التائب بكى امر بكاء ، والصق خده بالأرض :

\* وقالوا : فلما طال على قيس ما به ، أشار قومه على أبيه أن يزوجه امرأة جميلة ، فلعله يسلو بها عن لبني ، فدعاه إلى ذلك ، فأبى ، فأقسم عليه أبوه أن يسير وينتقل فى أحياء العرب ، ففعل عينه تقع على امرأة تعجبه ، ففعل حتى نزل بحى من فزارة ، فرأى جارية حسناء : قد حسرت برقع خُرٌّ عن وجهها ، وهى كالبدر ليلة تمامه ، فقال لها : ما اسمك ؟

قالت : «لبني» فسقط على وجهه مغشيا عليه :

فارتاعت لما عراه وأصابه ، وقالت :

«إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لجنون» .

ثم أقبل أخ لها فعرض عليه الصهر ، فقال : يا هذا إن فيك لرغبة ، ولكنى فى شغل لا ينتفع بى معه» .

فلم يزل يعاوده حتى أجابه ، وشخص قيس إلى أبيه وساق إليهم المهر ، ثم رجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته ؛ فلم يروه هَشًّا إليها ، ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ، ولا نظر إليها ، وأقام على ذلك أياما كثيرة ، ثم خرج إلى قومه بالمدينة ، فأخبره صديق له من الأنصار أن نبأ زواجه بلغ لبنى فغمها وقالت: «إنه لَعَدَّار ، ولقد كنت أمتنع عن إجابة قومي إلى التزويج ، فأنا الآن أجيبهم» .

وقد كان أبوها شكا قيسا إلى «معاوية» وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق ، فكتب إلى «مروان بن الحكم» أو «سعيد بن العاص» يهدر دمه إن تعرض لها ، وأمر أباه أن يزوجها رجلا من آل كثير بن الصَّلْتِ الكِنْدِي حليف قريش .

وقالوا : إن قيسا اقتطع قطعة من إبله ، وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعهها ويمتار<sup>(١)</sup> لأهله بثمنها ، فعرف أبوه أنه إنما يريد «لبنى» ؛ فعاتبه ، وزجره عن ذلك ، فلم يقبل منه ، وأخذ إبله ، فأتى بها المدينة ، فبينما هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها ، وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها ، فقال له : إذا كان غد فأنتى فى دار كثير بن الصلت ، فاقبض الثمن .

قال : نعم .

ومضى زوج لبنى إليها ، وقال لها : «إنى ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية ، وهو يأتينا غدا ، فأعدى له طعاماً» ففعلت ، فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم «قولى لسيدك : صاحب الناقة بالباب» .

فعرفت لبنى نعمته ، فلم تقل شيئا ، فقال زوجها للخادم ، قولى له : ادخل . فدخل وحين سمع صوتها عرفها ، فبهت قيس ساعة لا يتكلم . ثم انفجر باكيا ، ونهض فخرج ، فدست له لبنى بعد خروجه رسولا يسأله : «لِمَ تزوج بعدها؟!»

(١) يمتار : يشتري الميرة والطعام وحاجات البيت .

فحلف له قيس ان عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها ، وأنه لو رآها في  
نسوة ما عرفها ؛ وأنه ما مد إليها يده ولا كلمها ، ولا كشف لها عن ثوب ؛  
وشهر أمر قيس بالمدينة بعد لقائه لبني ، فلم يبق شريف ولا وضع إلا سمع  
بشعره فيها ، وحزن لقيس مما به ، وجاء لبني زوجها ، فأنبها على ذلك ،  
فغضبت ، وقالت : لقد علمت انى كنت زوجته قبلك ، وأنه أكره على طلاقى ،  
والله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه إن ألم بنا ؛ وطاف بحيننا ؛  
\* قالوا : وارتحل قيس إلى «معاوية» فدخل إلى «يزيد» فشكا ما به ،  
وامتدحه ، فرق له وقال : «سل ما شئت» فقال «أحب أن أقيم بحيث تقيم في  
البلاد ، أتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمي» ؛  
فأجابته إلى ذلك ، وأزال ما كان كتب به أبوه في إهدار دمه ؛

### النهاية:

قال أبو الفرج ، قالوا : وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبنى ، فنذكر أكثر  
الرواة أنهما ماتا على افتراقهما ؛



## ١٧ - كَثِيرٌ وَعَزَّةٌ

كُثِيرٌ بن عبد الرحمن أحد عشاق العرب المشهورين .

وهو صاحب عزة بنت جميل .

وله معها حكايات ونوادير ، وأمور مشهورة ، وأكثر شعره فيها .

وكُثِيرٌ: تصغير كَثِيرٍ ، وإنما صُغِرَ لأنه كان شديد القِصَرِ ، وكان إذا دخل على «عبد العزيز بن مروان» يقول له : «طأطئ رأسك لِئَلَّا يُؤذيك السقف» يمازحه بذلك .

وقال بعضهم رأيت كُثِيرًا يطوف بالبيت ، فمن أخبرك أن طوله كان أكثر من ثلاثة أشبار فقد كذب !

كان كثير قصيرا ، وكان أعور !

والقِصَرُ والعورُ عيبان فظيعان فى البيئات التى يغلب عليها البداوة ؛ ولذا نراه يدافع عن قِصَرِهِ قائلاً :

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدرية

وفى أثوابه أَسَدٌ هَصُورٌ<sup>(١)</sup>

فما عِظَمُ الرجالِ لهم بَزينِ

ولكن زَيْنُهُم كَرَمٌ وَخَيْرٌ<sup>(٢)</sup>

وكان قد امتحن بهوى عزة بنت جميل ، وهناك من يزعم أنه لم يكن صادقا فى حبه . ولكن حبه قد صار حقيقة من الحقائق الأدبية التى لايمكك الباحث إغفالها حين يتحدث عن حياته الأدبية والشعرية ، وصارت تنتقل من جيل إلى جيل ، وأضيف كُثِيرٌ إلى عزة كما أضيف جميل إلى بثينة !

ولقد زار كثير مصر لينتفع بصلات عبد العزيز بن مروان الذى أطال فيه

المديح .

(١) الهصور : الأسد . هصره هصرًا : كسره واقتصره .

(٢) الخير : بكسر الخاء : الكرم ، والشرف ، والأصل .

قال الراوى :

وحين اشتد شوقه إلى عزة خرج إليها بالمدينة فصادفها فى الطريق قادمة إلى مصر لتراه ، ولتنعم بلقىاه :

ويعاتبها وتعاتبه ، ويفترقان متغاضبين هو إلى المدينة ، وهى إلى مصر .

ثم عز عليه أن يفارق بلدا فيه هواه ، فرجع إلى مصر ، ولكنه لسوء حظه ، وجد الناس ينصرفون من جنازة عزة ، فاتى قبرها ، وأناخ راحلته عندها ، ومكث ساعة ثم رحل إلى المدينة وهو ينشد :

أقول - ونضوى عند قبرها

عليك سلام الله ، والعين تَسْفَحُ (١)

وقد كنت أبكى من فراقك حية

فانت لعمري اليوم أنأى وأنزح (٢)

هذا ، ويروى أنه كان لكثير غلام عطار بالمدينة ، وربما باع نساء العرب بالنسيئة (٣) ، فأعطى «عزة» - وهو لا يعرفها - شيئا من العطر ، فمطلته أياما ، وحضرت إلى حانوته فى نسوة فطالبها ، فقالت له : حبا وكرامة ، ما أقرب الوفاء وأسرعه ! ، فأنشد متمثلا :

قضى كل ذى دين فوقى غريمه

وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت النسوة: أتدرى من غريمك ؟ فقال : لا والله ؛ فقلن : هى - والله - عزة . فقال :

أشهدكن أنها فى حل مما لى قبلها ، ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك ، فقال كثير :

وأنا أشهد الله أنك حر لوجهه ، ووهبه جميع ما فى حانوت العطر ، فكان ذلك من عجائب الاتفاق !

(١) ونضوى ، جسمى المهزول .

(٢) أنأى : أشد نأيا وبعدا ، وأشد نزوحا . (٣) بالأجل .

## كثير يعانى من مطالها

ولكثير فى مطالها بالوعد شعر كثير ، فمن ذلك قوله :  
اقول لها: عَزِيْزَ مَطَلْتِ دِيْنِي  
وَشَرُّ الْغَانِيَاتِ (١) ذُوُو الْمَطَالِ  
فَقَالَتْ : وَيْحَ غَيْرِكَ كَيْفَ أَقْضِي  
غَرِيْمًا ذَهَبْتَ لَهُ بِمَالِ ؟

## دفاعه عن نفسه ؟

وتعصر قلبه اللوعة ، وينغص عليه حياته ما كان بينهما من بعد ، فيقول :  
أَيَادِي سَبَا (٢) يَاعَزْ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ  
فَلَمْ يَحُلْ لِّلْعَيْنَيْنِ بَعْدَكَ مَنظَرُ  
وَقَدْ زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ  
تَغْيِيرَ جَسْمِي وَالْخَلِيْقَةَ كَالَّذِي  
عَهَدْتُ ، وَلَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرِ  
إِنْ أَحْلَامَ قَلْبِهِ قَدْ تَفَرَّقَتْ كَمَا تَفَرَّقَ أَهْلُ سَبَا بَعْدَ تَضَعُّعِ سَدِّ مَأْرَبِ .  
وَإِنْ جَسْمِهِ قَدْ تَغْيِيرُ ، وَإِنْ الْخَلِيْقَةُ قَدْ تَغْيِيرَتْ ، وَلَكِنْ قَلْبِهِ الْكُتُومُ بَاقٍ عَلَى  
عَهْدِهِ .

## حلاوة حديثها

ولقد بلغ الغاية فى وصف حلاوة الحديث حين يقول :  
مِنَ الْخَفْرَاتِ (٣) الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيْسُهَا  
إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوْثُهُ لَوْ تُعْيِدُهَا

(١) الغانيات : اللاتي استغنين بجمالهن عن الزينة .

(٢) هذا مثل يضرب فى التفرق والتشتت ، يقال : «تفرقوا أيادي سبأ» .

(٣) الخفريات : الحبيبات .

## 📖 لا شيء عنده يعدل الحب !

إنه يقول :

نظرت إليها نظرة ما يسرني

بها حُمُرُ أنعام<sup>(١)</sup> البلاد وسودها

## 📖 لَوْعَةٌ تُثِيرُ الإِشْفَاقَ

ولوعة كثير في العشق لوعة تثير الإشفاق ، ولننظر إليه كيف يقول:

أَمُنْقَطِعُ يَاعَزَمَا كَانَ بَيْنَنَا

وَشَاجِرُنِي يَاعَزَفِيكَ الشُّوَاجِرُ

إذا قيل : هذا بيتُ عَزَّةٍ قَادِنِي

إليه الهوى ، واستعجلتني البوادرُ

أَصْدُ وِى مِثْلَ الْجَنُونِ لَكِي يَرِي

رَوَاةُ الْخَنَا<sup>(٢)</sup> أَنِّي لِبَيْتِكَ هَاجِرُ ؟

اللايت حَظِّي مِنْكَ يَاعَزُ أَنْنِي

إذا بِنْتِ<sup>(٣)</sup> بَاعَ الصَّبْرَ لِي عَنْكَ تَاجِرُ

ويقول الواقدي :

ولقد مات عكرمة مولى ابن عباس ، وكثير عزة في يوم واحد سنة خمس ومئة ، فرأيتها جميعا صلى عليهما في موضع واحد بعد الظهر ، فقال الناس: «مات أफقه الناس و أشعر الناس!»

وكان موتهما بالمدينة!

## 📖 كَثِيرٌ وَعَمِيَاءُ تَجِيدُ نَقْدَ الشَّعْرِ

حكى أن «كثير عزة» كان ماراً ذات يوم ، فإذا هو بعجوز عمياء على قارعة

الطريق تمشى على غير هدى ، فقال لها : تتحَّى<sup>(٤)</sup> عن الطريق .

(١) يضرب المثل بحُمُرِ النَّعَمِ (الجمال) في حسن المنزلة عند العرب .

(٢) الخنا : الفحش في الكلام . (٣) بنت : بعدت . (٤) تتحَّى : ابتعدى .

فقال له : وَيَحْك ! ومن تكون ؟

فقال : أنا كثير عزة !

قالت له : قَبَّحَ اللهُ ! وهل مثلك يُتَّحَى له عن الطريق ؟!

فقال لها : ولم ؟

قالت له : ألسنت القائل :

وما روضة بالحزن <sup>(١)</sup> طيبة الثرى

يَمَجُّ التندى جَثَجَاثُهَا وَعَرَاوُهَا

بأطيب من أردان <sup>(٢)</sup> عَزَّةٌ مَوْهِنَا

إذا أُوقِدَتِ بِالْمَجْمَرِ اللَّدْنِ نَارُهَا

ويحك يا هذا !

لو تبخر بالمجمر اللدن مثلى ، ومثل أمك لطاب ريحها !

هلا قلت مثل سيدك امرئ القيس :

وكنت إذا ما جئت بالليل طارقاً

وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب ؟!

فخجل كثير ، ولم يردّ جواباً !

## عزّة وبثينة عند عبد الملك بن مروان !

دخلت «بثينة وعزّة» على «عبد الملك بن مروان» ، فاتجه إلى عزّة وقال :

أنت عزّة كثير ؟

قالت : لست لكثير بعزّة <sup>(٣)</sup> ، لكنى أمُّ بكر .

(١) الحزن : ضد السهل - يمج التندى : يقذف ويرمى - الجثجات : نبات طيب الرائحة - العراو: النرجس البرى ، وهو نبات طيب الرائحة .

(٢) الأردن : جمع ردن ، وهو الجزء الواسع من الكم . موهنا : نصف الليل - ومعناه فى الليل - المجرم: ما يوضع فيه الجمر ، والعود نفسه الذى يوضع فى النار ليطيب به . إنه يقول : ليست تلك الروضة ذات الأزهار الفواحة بأطيب مما ينبعث من عزّة ليلاً حين تتصاعد رائحة البخور .

(٣) لست لكثير بعزّة : تستكف أن يكون كثير عاشقها .

قال: أتروين قول كثير :

وقد زَعَمْتَ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ ١٩

فقلت : لست أروى هذا ، ولكنى أروى قوله :

كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلِمَ صَخْرَةً

من الصُّمِّ ، لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ (١)

ثم اتجه إلى بثينة فقال :

أنت بثينة جميل ؟

فقلت : نعم يا أمير المؤمنين !

قال : ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج (٢) بذكرك من بين نساء العالمين ؟

قلت : الذى رأى الناس فيك ، فجعلوك خليفتهم !

قال : فضحك «عبد الملك» ، وسره جوابها ، وفضلها على عزة فى الجائزة ،

ثم أمرهما أن يدخلتا على عاتكة ، فدخلتا عليها ، فقلت لعزة .

أخبرينى عن قول كثير :

قَضَى كُلُّ ذِي دِينٍ فَوْقَى غَرِيمِهِ

وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمِهَا (٣)

ما كان دينه ؟ وما كنت وعدتيه ؟

قلت : كنت وعدته قُبلة ، ثم تأثمت (٤) منها .

قلت عاتكة : وددت أنك فعلت ، وأنا كنت تحملت إثمها عنك .

ثم ندمت عاتكة ، واستغفرت الله تعالى ، وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين

رقبة ! ، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

(١) العصم : جمع أعصم ، وهو الغزال فى يده بياض وسواد . أى : هى صخرة ملساء صمّاء !

(٢) لهج بالشىء : أغرى به فتأثر عليه .

(٣) وفى غريمه : أدى ما عليه لدائنه ، وعزة دائمة التسوية لاتقى بما عليها لغريمها .

(٤) تأثمت : تحرّجت ، وخفّت الإثم .

## ١٨- مُزاحم ومحبوبته ليلي

مُزاحم العقيلي بدوى شاعر فصيح إسلامى صاحب قصيدٍ ورجزٍ ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ، ويقرّظه ، ويقدمه .

\* وذكر صاحب الأغاني أن عبد الملك بن مروان قال لجرير : يا أبا حَزْرَةَ ، هل تحب أن يكون لك بشيء من شعرك شيء من شعر غيرك ؟

قال : لا ، ما أحب ذلك ، إلا أن غلاما ينزل الروضات من بلاد بنى عقيل ، يقال له : «مزاحم العقيلي» ، يقول حسنا من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله ، كنت أحب أن يكون لى بعض شعره مقايضة ببعض شعري !

\* وكان جرير يقول : ما من بيتين كنت أحب أن أكون سَبَقْتُ إليهما غير بيتين من قول مزاحم العقيلي وهما .

وَدِدْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَرْفِ الْهَوَى

وَعَى الْأَمَانِي أَنْ مَا شِئْتُ يُفْعَلُ

فَتَرْجِعُ أَيَّامَ مَضَيْنٍ وَلِدَّةٌ

تَوَلَّتْ ، وَهَلْ يَثْنَى مِنَ الْعَيْشِ أَوْلُ !

قال المفضل : سَرْفُ الْهَوَى : خطؤه !

### قصة حبه

كان مزاحم العقيلي خطب ابنة عم له ، فمنعه أهلها لإملاقه ، وقلة ماله ، وانتظروا بها رجلا موسرا فى قومها كان يذكرها ولكنه كان غائبا ، فبلغ ذلك مزاحما ، فقال لعمه :

يا عمّ ، أتقطع رحمى ، وتختار على غيرى لفضل أباعر<sup>(١)</sup> تحوزها ، وطفيف من الحظ تحظى به ؟! قد علمت أنى أقرب إليك من خاطبها الذى تريده ، وأفصح منه لسانا ، وأجود كفاً ، وأمنع جانباً ، وأغنى عن العشيرة !

فقال : لاعليك ، فإنها إليك صائرة ، وإنما أعلل أمها بهذا ، ثم يكون أمرها

(١) الأباعر : جمع بعير ، وفضلها : مازاد منها على غيره .

لك ، فوثق به ، وأقاموا مدةً ، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب ، وعاد الرجل الغائب ،  
فرغب فيها ، فزوجوه إياها ، فبلغ ذلك مزاحما ، فأنشأ يقول :

خليلى هل من حيلة تعلمانها

يُقَرَّبُ من ليلى إلينا احتيالها

هنيئاً ليلى مُهَجَّةً ظَفِرَتْ بها

وتزويجُ ليلى حين حان ارتحالها

\* ويقول أبو الفرج :

كان «مزاحم العقيلي» يهوى امرأة من قومه يقال لها : «ليلى» فغاب غيبة من  
بلاده ، ثم عاد ، وقد زُوِّجَتْ ، فقال فى ذلك :

أتانى بظَهْر الغيب أن قد تَزَوَّجَتْ

فَظَلَّتْ بى الأَرْضُ الفَضَاءُ تدورُ

وزَايَلَنى بُبى وقد كان حاضراً

وكاد جَنَانى عند ذاك يَطِيرُ<sup>(١)</sup>

فقلت - وقد أيقنت أن ليس بيننا

تلاقٍ ، وعينى بالدموع تمورُ

أيا سرعة الأَخْبَارِ حين تزَوَّجَتْ

فهل يَأْتِينى بالطلاق بشير؟<sup>(٢)</sup>

لها فى سوادِ القلبِ تسعةُ أسهم

وللناس طُراً من هَوَاىَ عَشِيرِ<sup>(٣)</sup>

ويطلب من قلبه الذى لَجَّ هائماً بليلى أن يَفِيقَ فيقول :

ألا أيها القلبُ الذى لَجَّ هائماً

وليداً بليلى لم تُقَطِّعْ تَمَائِمه<sup>(٤)</sup>

لقد أتاه هواها قبل أن يعرف الهوى فعاشت فى قلب لا تفارقه :

(١) زايلى : فارقى ، وغاب عنى . ولجى : عظمى وكذلك جنانى بفتح الجيم .

(٢) نهى الإسلام عن أن يتمنى الرجل طلاق امرأة من زوجها ليتزوج بها هو .

(٣) عشير : أى جزء من العشرة .

(٤) التمايم جمع تميمة : ما يعلق فى العنق لدفع العين كناية عن حبه المبكر .

## ١٩- نصيب وصاحبه زينب

هو ابو محجن نصيب الشهير بالشاعر «الزنجي» .  
وصاحبه ام بكر «زينب» بنت صفوان .  
وكان نصيب يرضى ابلا لمولاه .  
وكان رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان .  
وكانت زينب تاتي إلى رعاة أبيها فتأخذ لبنا .  
وكان نصيب حاذقا حسن التأمل في دقائق المحاسن ، ولطائف الشمائل ،  
و«زينب» في أرفع المراتب مما شغل باله ، وغير حاله ؛  
وجرى الشعر على لسانه ، وفشا ، فأتت العرب مولاه ، فقالت :  
إن عبدك هذا قد برع في الشعر ، ونخشى أن يهجو أحدنا ، أو يشبب (١)  
بنسائنا ، فقال له مولاه :  
إني بائعك فانظر لنفسك ، فأقبل حتى دخل على الأمير ، وهو يومئذ :  
«عبد العزيز بن مروان» ، فأنشده :

وعبد العزيز على عثرته	وغيرهم من ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم	ودارك ما هولة عامره
وكلبك أراف بالزائرين	من الأم بالابنة الزائرة
وكفك حين ترى السائلين	لأثرى من الليلة الماطرة
فمنك العطاء ومنا الثناء	بكل محبرة (٢) سائرة

فأمر له بالف دينار ، فقال :

أصلحك الله ؛ إني عبد لا آخذ الجوائز ، ولكن أباع فقال لخدمه : امض به  
في السوق إلى باب الجامع فإذا انتهت الرغبات (٣) فيه فأخبرني ؛

(١) يتغزل فيهن . (٢) المحبرة ، القصيدة . (٣) آخر سعر له .

فمضى فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين ديناراً، فقال نُصَيْبُ: قولوا لهم : إنه يحسن برى القسي<sup>(١)</sup> ، وإراشة السهام وحجز الأوتار ، وقول الأشعار! فمزالوا به حتى انتهى إلى ألف دينار ، فأخذه الأمير فكان فى خدمته إلى أن توفى ، فأوصى به سليمان بعد أن أعتقه ، فكان من أكبر سُمَّاره ، وكان يلهج بالعشق . فسأله سليمان ، فأخبره أنه تعلق بجارية فى كنانة . ومنعه منها حَسْبُهُ ، وحقارة نسبه ؛ فكان يجلس فى ممرها ليخالسها النظر ، وفى ذلك يقول :

جلست لها كيما تمرُّ لعلنى  
أخالسُها التسليم إن لم تسلّم  
فلما رأتنى والوشاة تحدّرت  
مدامعُها خوفاً ولم تتكلم  
مساكينُ أهل العشق ما كنت أشتري  
حياة جميع العاشقين بدرهم

\* وعندما توفى من كان يمنعها كتب إليها :

فإن أكُ حالكا فامسك لونى  
وما لسوادِ جلدى من دواءِ  
وبى كرمٍ عن الفحشاء ناء  
كبُعد الأرضِ عن جو السماء  
ومثلى فى رجالكم قليلُ  
ومثلى لا يُردُّ عن النساءِ  
فإن ترضى فردى قول راضٍ  
وإن تأبى فنحن على السواءِ

(١) إنه يجيد صناعة أقواس الرمي والسهام .  
فالأقواس تبرى . والسهام تراش بريش يساعدها على الانطلاق إلى مسافات أبعد . ويقال : أعط القوس باربها : كل الأمر لصاحبه .

فقال: المال والعقل يغطيان غيرهما لو تزوجتني . ويقال: إنها توفيت قبله  
فبكاها قائلاً :

أيدهرُ ما هذا لنا منك مرة  
عَثَرْتُ ، فأقْصَيْتَ الحَبِيبَ المُحِبِّبَا  
وَأبدَلْتَنِي من لا أَحِبُّ دُنُوهُ  
وَأَسْقَيْتَنِي صاباً<sup>(١)</sup> من العَذْبِ مَشْرَبَا  
وهو الذي شقى بجهه حتى رضيت عنه محبوبته فيقول :  
وما فى الأرض أشقى من مُحِبِّبَا  
وإن وَجَدَ الهوى حَلَوَ المذاقِ  
تراهُ باكيًا أبداً حزينًا  
مَخَافَةَ فُزْقةِ أولاشْتِياقِ  
فيبكي إن نَأَوَا شوقًا إليهم  
ويبكي إن دَتَّوَا خوفَ الفِراقِ  
فَتَسْخُنُ عينُهُ عند التنايِ  
وتسْخُنُ عينُهُ عند التَلّاقِ<sup>(٢)</sup>

وبعد .. فقد كانت هذه « أشهر قصص العشاق والمُتيمين » نقلتنا إلى عالمهم،  
وحلقت بنا في آفاقهم ، فعاشناهم وإذا بنا نشاركهم أسمى العواطف  
الإنسانية في عالم طغت عليه المادية ؛ فتعال إلى : « أعجب قصص الحب » .



(١) الصاب : شجر له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة ؛  
(٢) التناي : عكس التلاقي . فى الأول بعد ، وفى الثانى قرب .

## الباب الثاني

### أعجب قصص الحب

والليالي من الزمان حباتي

مُثَقَلَات يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبٍ !

(المتنبي)

\* تعيش في هذا الباب مع :

- ١- بريرة ومغيث.
- ٢- الوفاء العظيم.
- ٣- مثلك فليتزوج الرجال .
- ٤- الوفاء النادر .
- ٥- لون من النساء .
- ٦- غدر الرجال .
- ٧- من طلق امرأته فتبعتهما نفسه .
- ٨- قصة الفرزدق والنوار.
- ٩- عدو المرأة حتى التلاقي .
- ١٠- يغزو العدو والهوى يغزو فؤاده .
- ١١- للناس فيما يعشقون مذاهب .
- ١٢- أعرابي متعفف .
- ١٣- هي وهو .
- ١٤- وسؤال عن الحب .
- ١٥- سلامة القس .
- ١٦- زوجات يصفن أنفسهن .
- ١٧- سر الزرّ الذهبي .
- ١٨- هل فيكم عاشق ؟
- ١٩- إذا عُرف السبب بطلّ العجب .

## أعجب قصص الحب ١

(١)

### (بريرة ومغيث)

من أعجب قصص الحب ، تلك القصة التي كان الحب فيها من طرف واحد ١

وشهد النبي ﷺ وعمته العباس أحداثها ، وأبدى عجبته مما دار بين أطرافها ، ووَدَّ لو يجمع بين الشئتين ١

يزوي البخاري عن ابن عباس :

أن زوج «بريرة» كان «عبدا» يقال له : «مغيث» .

كانى انظر إليه ، يطوف خلفها يبكى ، ودموعه تسيل على لحيته ١١

فقال النبي ﷺ لعمته العباس :

يا عباس ، ألا تعجب من حب مغيث بريرة ؟ ومن بغض بريرة مغيثا ؟ ١٢

فقال النبي ﷺ : «لورا جعته الله» .

قالت : يا رسول الله ، تأمرنى ؟

قال ﷺ : «إنما أنا أشفع» ١٣

قالت : لا حاجة لى فيه (١) ١٤

لقد كانت بريرة جارية لعنبة بن «أبى لهب» ، وزوجها سيدها عبدا من عبيد «المغيرة» ما كانت لترضاه لو كان أمرها لها ، فأشفقت عليها «أم المؤمنين عائشة» - رضى الله عنها - فاشتريتها ، واعتقتها ، فقال لها النبي ﷺ : «ملكته نفسك فاختاري» وكان زوجها مغيث يطوف خلفها سبكا المدينة يبكى عليها ، وهى تأباه ١٥

فقال لها النبي ﷺ : «لورا جعته فإنه أبو وكديك» ١٦ ، قالت يا رسول الله

أتأمرنى ؟ فقال ﷺ : «لا ، إنما أنا شافع» ، قالت : فلا حاجة فيه ، لو أعطانى كذا وكذا ما كنت عنده (٢) ١٧

(١) البخارى فى الطلاق : ١٦ ، وأبو داود : ١٩ ، والنسائى فى القضاء .

(٢) مجموعة الفتاوى لابن تيمية .

(٢)

## الوفاءُ العظيمُ

(أبو العاص وزينب بنت رسول الله ﷺ)

(رضى الله عنها)

وهذه قصة الحب الكبير ، والوفاء العظيم (١)

بدأت عندما زُفَّتْ «زينبُ» بنت سيدنا «محمد ﷺ» إلى «أبي العاص بن الربيع»، ابن خالتها «هالة» ، ومضت خديجةُ أم المؤمنين - رضى الله عنها - إلى الزوجين المتحابين تبارك لهما ، وتدعو ربها أن يوفقهما :

وخلعت رقلا دتها ، وقدمتها هدية لتجعلها زينبُ فى عنقها :

وعاش الزوجان فترة من الحب ، والوفاء ، وعندما أشرقت الأرضُ بنور ربها بالمبعوث رحمة للعالمين .. كانت «زينب» مع السابقين الأولين ، وبقي «أبو العاص» على دين آبائه الجاهليين ؛ إلى ما قبل الحديبية بخمسة أشهر .

وباعد الزمن بين القلبين ، ولكن إلى حين ؛ موقف عجيب ، وشعور غريب سيطر عليهما ؛

إنهما يشعران أن هناك قوة أقوى من الحب تحاول أن تفرق بينهما طالما أن كلا منهما قد تمسك بموقفه ؛

فأبو العاص لا يريد أن يخلع دين آبائه لسبب أو لآخر، و مع أنه صهر الرسول ﷺ لكنه فى ظروف لا تمكنه من الجهر بالإسلام ، وإعلانه على الملأ ؛ أما زينب فقد سارعت إلى دين أبيها ؛ ، وإن كانت لا تستطيع أن تلحق به ،

(١) جميع ما ورد من أحداث واحاديث بهذه القصة مذكور بترجمة أبى العاص (رقم ١٠١٢٦) .  
القسم السابع من الإصابة لابن حجر العسقلانى ، وترجمة زينب بالقسم نفسه رقم (١١٢١٧) والطبقات (٢٠/٨) ، وأعلام النبلاء للإمام الذهبى .

فمكة كلها نائرة لما حدث من هجرة الرسول وصاحبه ، ولم يأت الوقت المناسب لهجرتها ؛ ويعلن أبو العاص العصيان والتمرد ، فيقول :

«لن ينال ما بيننا يا زينب أن تكوني على دينك ، وأثبتت على ديني ؛ فلن أسلمك للفراق ؛»

وزينب تقول له :

«مهلاً يا صاحبي ... لست جلاً لك ، وانت على ذلك الدين فأسلمني إلى أبي حين تتاح الفرصة في غفلة من قريش ؛ ، أو أسلم معي ؛

لن تكون زينب جلاً لك بعد اليوم إلا أن تؤمن بما آمنت»

وحال بينهما الإيمان ؛ مع أنهما في بيت واحد يجتمعان ؛

ومن يدري فربما جمعهما الإيمان فيما يستقبل من الزمان ؛

وأحسن الزوج المحب أن هناك قوتين تتجادبانه ؛

حفاظه على دين آباءه ؛ وذلك الحب العنيف الذي استبد به فراح يحاول أن يتنزع «امرأة مسلمة» من دينها الذي آمنت به ؛

وأطرق الزوجان ساعة ، وسالت عبراتهما نزولاً على ما يقضى به الدين ؛

نعم لقد فرق الدين بينهما جسدين .. ولكن ظل قلباهما مؤمنين بالحب ؛

وبقيت زينب في بيت «خالتها هالة» محفوفة مصونة ؛ حتى يسمح لها

بالهجرة إلى أبيها ﷺ في غفلة من قريش ؛ ولم يكن بين أبي العاص وزينب إلا

نظرات المحبين بين الحين والحين حين يكون لقاء ؛ وهي ابنة خالته خديجة ؛

وهو مسئول عن الحفاظ عليها حتى تهاجر إلى أبيها سالمة ؛ فهي أمانة في

رقبته ؛ وتلك هي الشهامة العربية ؛ وتتحرك قريش للقاء الرسول ﷺ

وأصحابه في «بدر» .

ويخرج «أبو العاص» فيمن خرج من المشركين للقضاء على المسلمين في

المدينة ؛

وزينب مع خالتها فى دارها بمكة تنتظر ؛  
إن يدها على قلبها الذى تتابعت ضرباته ؛  
إنها تتمنى الغلبة لأبيها وللذين آمنوا به ونصروه ؛ فهو أبوها ... وهو رسول  
الله ﷺ ... وهو قائد جيش المسلمين ... وهناك أخوات لها مسلمات يقفن إلى  
جانب الرسول ويشاركنه الدفاع عن دين الله ۞

لقد أخذت تدعو الله قائلة : «اللهم اجعل الدائرة على المشركين ...»  
ولكن نج «أبا العاص» . وتحققت أمنيئتها ، فدارت الدائرة على المشركين ،  
ونجا «أبو العاص» ولكنه وقع أسيرا فى أيدي المسلمين ۞

فماذا تفعل لافتداء هذا الأسير ، الأثير<sup>(٢)</sup> لديها ۞  
إن له مالا كثيرا يمكن أن تفتديه به ؛ ، فقد كان من تجار قريش وأمائهم ؛  
ولكنها تممت يدها إلى صدرها ، فتخلع «قلادتها وتبعث بها إلى رسول  
الله ﷺ إنها تفتديه بعقد خديجة «ابن أخت خديجة» وصهر نبي الله ﷺ ۞ ..  
إنه الحب ؛

لقد قدمت «هدية عرسها» من أمها مهرا لحرية الزوج الذى فقدته مرتين ؛  
وبعثت رسولها إلى أبيها ، ومعه المال والقلادة وقال رسولها ؛  
يامحمد ؛ هذا «مال» من مال أبى العاص ۞  
وهذه قلادة خديجة بنت خويلد ۞ (رضى الله عنها) ۞ بعثتني بها «زينب»  
فى فداء أبى العاص ؛

وعندما رأى الرسول ﷺ قلادة خديجة تراءت له صور الماضى الجميل ،  
وكأنما راحت أبتة زينب وزوجته خديجة تسألانه العفو والصفح عن هذا  
الأسير ؛ ... ونظر النبي ﷺ فى أصحابه فقال ؛  
«إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها ، فافعلوا !» (٣)

(١) يقال ؛ درات عليه الدوائر ، نزلت به ، والدائرة ؛ الداهية .

(٢) الأثير ، المفضل الذى تفضله على نفسها ؛

(٣) المغازى لابن إسحاق كما ذكر ابن حجر . وأخرجه احمد ٢٧٦/٦ ، وأبو داود (٢٦٩٢) من طريقه .

وعاد «أبو العاص» إلى مكة ، وقد ازداد حُبّه لزَيْنب وتمسّكه بها ، وتقديره  
لصنيع أبيها معه ؛

وكانت المفاجأة حين قال لزَيْنب ؛

«عودى إلى أهلك يا زَيْنب!» .

وَحَنَقَتْهُ العبراتُ ؛ وقال ، لقد وعدتُه ، ووعدُ الحرّ دينٌ عليه ؛ إن الرجل  
الحرّ لا يملك إلا الوفاء بما أخذ عليه وقد أخذ عليه أبوها عهداً بأن يُطلقها  
تسير إليه ؛ .

لكنه لا يقوى على وداعها فما أمرَ الوداع ؛ ؛ ورَبِما كان هذا هو الوداع  
الأخير مادام سلطانُ الدين قائماً بين القلبين ؛

ومضى يقول لأخيه «كنانة بن الربيع» ؛

يا أخى ؛ إنك لتعلم مؤضعها من نفسى ؛ فما أحبّ أن لى بها امرأة من  
قريش ؛ ؛ .

وإنك لتعلم أن لا طاقة لى بأن أفارقها ؛ فاصحبتها عنى إلى طرفِ البادية ،  
حيث ينتظرها رسولاً محمد ؛

فأرفق بها فى السفر ، وارعها رعاية الحرّمات ؛ ولو نُثرتْ دونها كنانتك<sup>(١)</sup> .

لا يدنو منها رجل حتى تبلغ أباهاد» .

وافترق الزوجان ، فلا سبيل إلى لقاء ؛

وأقام «أبو العاص» فى مكة لكن قلبه كان مع «زَيْنب» فى المدينة ؛

وأقامت «زَيْنب» فى المدينة مع أبيها رسول الله ﷺ لكن قلبها كان مع زوجها

أبى العاص بمكة ، ترجو الله أن يهديه ، ويجمعهما على الإسلام ؛ .

لقد اعتلّ جسمها ، ووهنت قواها ، ولولا الإيمان والثقى يشدان من عزمها

ابن إسحاق .

(١) الكنانة ؛ جعبة من الجلد للئبل ، ولقد روعها «هَبَار بن الأسود» بالرمح ، فقال كنانة ؛ والله  
لا يدنو أحد إلا وضعت فيه سهما ، فقال أبو سفيان ؛ كمأّ عنا نبلك حتى نكلمك . لقد خرجت  
بالمرأة على رعوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا فى بدر فأرجع بها حتى لايقول الناس ؛ إننا  
رددناها ؛ ثم تسلل بها سرا ، والحققها بأبيها ، فخرج بعد ليلال ، فسلمها إلى زيد بن حارثة  
وصاحبه اللذين كانا فى انتظارها موفدين من الرسول ﷺ .

وَيَرَبِّطَانِ عَلَى قَلْبِهَا لِأَعْجَلِهَا الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَحِينَ الْلِقَاءَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا !!  
ومضت سنوات ، وكان أبو العاص قد خرج في تجارة له إلى الشام فربح  
الكثير ، وفى طريق العودة لقيته سَرِيَّةٌ (١) لرسول الله ﷺ ، وأصابوا ما معه ،  
وأفلت هاربا ! لكن هذه الأموال التى أستولى عليها المسلمون هى لقريش، ولا  
بُدَّ من ردِّ الأماناتِ إلى أصحابها !

فكيف السبيل ؛ وحياتهُ معرضة للخطر ؟!

وهنا تذكُر «الحبيبة» التى وهبت له الحياة مرتين :

مرة حين اقترن بها ، فأحسَّ فى ظل حبها بأنه قد ولد من جديد ! وأن  
روحه التى كانت بعيدة عنه قد اقتربت منه !

ومرة حين افتدته عند أبيها بقلادة أمها : وتراءت له ، وخيَّلَ إليه أنه  
يحدثها ، فهمس إليها :

أتهبين لى الحياةِ ثالثة يا زينب ؟!

وفى ظلام الليل تسلل «أبو العاص» إلى المدينة المنورة حتى دخل على زينب  
بنت الرسول ﷺ وابنة خالته !

وطلب إليها أن تُجيره وتحميه ، وأن تُعينه على ردِّ ماله ، فأجارته حتى إذا  
أصبح الصباح ، وسعى الناس إلى المسجد ، وكبُر رسول الله ﷺ ، وكبر  
الناس ، وإذا صوت يهتف من وراء جدار :

«أيها الناس ؛ إنى قد أجرتُ «أبا العاص بن الربيع» ، فهو فى حمايتى  
وأمنى!» .

وكانت زينب هى التى تهتف !

وعندما فرغ النبى ﷺ من صلاته قال :

«أيها الناس ؛ هل سمعتم ما سمعت ؟!» .

أما والذى نفسُ محمدٍ بيده ... ما علمت بشيء من ذلك ، حتى سمعتُ ما  
سمعتُ !

إنه يجير على المسلمين أدناهم» .

(١) السرية : قطعة من الجيش ، يتولى قيادتها أحد الصحابة ، أما الغزوة فالقيادة فيها  
للرسول ﷺ .

ثم دخل على ابنته فحدثها ، وحدثته وأكبر محمد ﷺ في ابنته هذا الوفاء العظيم لزوجها الذي فارقته لأمر الله !

لقد انقطع ما بينها وبينه من شهوات النفس لأمر الله ، لكن بقى البرّ ، والوفاء ، والمعونة ...

بر المسلمة ... ووفاء القرابة ... ومعونة الإنسان ! وتأثر النبي ﷺ بما سمع ... وما علم ... وود أن يهدى الله «أبا العاص» ليلتئم الشمل ، ويتدفق نهر الحب من جديد بعد أن كاد يجف أو تتحول مياهه إلى جليد !

لقد بعث إلى «السريّة» التي أصابت ماله وعائد تجارته ، فقال :  
«إن هذا الرجل منا حيث علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسّنوا ، وتردوا عليه ماله ، فإننا نحب ذلك !

وإن أبيتم فهو فيء<sup>(١)</sup> الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به» .  
قالوا : «بل نرده عليه!» .

وقال نفر منهم لأبي العاص : هل لك أن تسلم يا أبا العاص ، وتأخذ هذه الأموال ، فإنها أموال المشركين الذين أخذوا أموال المسلمين<sup>(٢)</sup> .  
فقال الرجل : بئس ما أبدأ به إسلامي ، أن أخون أمانتي ! ؛ لقد أئتمنوني على هذه الأموال !

فردوا إليه ماله ؛ كرامة للرسول ﷺ ، وإكباراً لزينب !  
وعاد الرجل إلى مكة بماله ، ومال الناس ، ونفسه تقيض بشتى المعانى ...  
وأمام عينه صورة لا تفارقه !  
ودقات قلبه تعلو ... ولا تهدأ ....

(١) الفيء : الغنيمة تتال بلا قتال .

(٢) لم يكن في هذا العرض تحريض على أكل الأموال بالباطل بل هو من قبيل رد العبدوان بمثله ، وقد سبق أن استولى كفار قريش على أموال المسلمين ! وليس فيما رآه أبو العاص ما يخالف المبادئ الإسلامية ، فقد كلف الرسول ﷺ علياً رضي الله عنه حين هاجر أن يبقى ليرد الأمانات إلى أهلها ! وقد أمرنا الله أن نؤدى الأمانات إلى أهلها !

فلما أدى إلى كل ذي حق حقه قال :

«يا معشر قريش ؛ هل بقي لأحد منكم مال عندي ؟» .

قالوا : لا ، فجزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وقيًا كريما !

قال : « فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدهُ ورسولهُ » .

والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تَخَوُّفُ أن يظنوا أنى إنما أردت أن آكلَ

أموالكم !

فلما أداها الله إليكم ، وفرغتُ منها ، أسلمتُ ! .

وخرج «أبو العاص» من مكة إلى المدينة مهاجرا إلى الله ورسوله يهديه

نور الإيمان ، ونور الحب !

«فرد النبي ﷺ زينب عليه»<sup>(١)</sup> . بعد ستة أعوام على النكاح الأول .

وتلاقى الزوجان المتحابان مرة ثانية بعد فراق طويل وأحست الزوجة الوفية

أنها أدت واجبها ، وفرغت من دنياها يوم هدت الرجل الذى أحبته ، ووفت له

بمقدار ما أحبها ، ووفى لها !

ولم تمض سنوات حتى لقيت زينب ربها متأثرة بما حدث لها يوم هجرتها

على يد عدو الله : هبار بن الأسود ، وقد خلفت وراءها أطيب الذكرى !

وضربت أعظم المثل ؛ فى وفاء الزوجة ، وإخلاص المحبة ، وصدق الإيمان !

فما أروعها قصة ظلت ماثلة أمامنا على مر الزمان<sup>(٢)</sup> .



(١) الخبر بطوله أخرجه ابن هشام ٦٥٢/١ - ٦٥٩ ، والحاكم ٢٣٦/٣ - ٢٣٧ .

وحديث رد زينب على العاص على النكاح الأول أخرجه أحمد (٦٧٨١) .

(٢) انظر «زوجة وقت» للراحل الأستاذ محمد سعيد العريان بتصرف كبير .

(٣)

### مِثْلَكَ فَلْيَتَزَوَّجِ الرِّجَالُ !

رُويَ أَنَّ «مَالِكَ بْنَ عَمْرٍو الْغَسَّانِيَّ» تَزَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّ لِّلنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرِ  
الْأَنْصَارِيِّ؛ فَأَحَبَّ كُلَّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، وَكَانَ شَجَاعًا بَطْلًا مَقْدَامًا ، فَعَهَدَتْ إِلَيْهِ  
أَنْ لَا يُبَاشِرَ حَرْبًا !

ثم إنه غداً فلقي العدو فطعن ، فقال ، وهو وجود بنفسه :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ غَزَالِ تَرَكَتُهُ

إِذَا مَا أَتَتْهُ مَيْتَتِي كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ (١)

أَيْلَبَسُ أَثْوَابَ الْحِدَادِ تَضْجُعًا

عَلَى مَالِكِ أُمِّ فِيهِ لَلْبَعْلِ مَطْمَعُ (١)

فَلَوْ أَنَّي كُنْتُ الْمُؤَخَّرَ بَعْدَهُ

لَمَا بَرَحْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ تَقَطُّعُ

فلما أتاها خبره ، توقفت لسانها عن الكلام حولا ؛ فقال رهطها وعشيرتها :  
لو تزوجتموها غيره ، لعلها تسلى ، وتُفِيقُ ، فزوجهوا رجلا من «أبناء الملوك»  
فساق إليها هدية عظيمة القدر .

فلما كان ليلة بنائه بها أنشأت تقول :

يَقُولُ رِجَالٌ : زَوَّجُوها لَعَلَّها

تُفِيقُ ، وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِحَلِيلِ ! (٢)

فَأَضْمَرْتُ فِي النَّفْسِ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ

رِجَاءٌ لَهَا ، وَالصَّدْقُ أَفْضَلُ قِيلِ

أَبْعَدُ «ابْنِ عَمْرٍو» سَيِّدِ الْقَوْمِ «مَالِكِ»

أَزْفُ إِلَى زَوْجٍ بَعْضُ بَعْضٍ كَلِيلِ (٣)

(١) البعل : الزوج . (٢) الحليل : الزوج .

(٣) العضب : السيف ، والكليل : غير القاطع كناية عن الجبن .

وخبَّرني أصحابه أن مالكا

خفيفٌ على العِلاتِ غيرُ ثَقِيلٍ (١)

وخبَّرني أصحابه أن مالكا

ضروباً بماضى الشُّفرتين صَقِيلٍ (٢)

وخبَّرني أصحابه أن مالكا

جَوَادٌ بما في الرجلِ غيرُ بَخِيلٍ

وخبَّرني أصحابه أن مالكا

ثَوِيٌّ ، وَتَنَادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلٍ (٣)

فَمَا كَانَ يَشْرِينِي خَلِيلِي بِخُلَّةٍ (٤)

وَمَا كُنْتُ أَشْرِي مَالِكًا بِخَلِيلٍ

فَقَالَ لَهَا بَعُهَا :

ارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ ، وَلِكِ كُلُّ مَا سَقَّتُ إِلَيْكَ ! «مِثْلِكَ فَلْيَتَزَوَّجِ الرَّجَالُ !» .

(٤)

### الْوَفَاءُ النَّادِرُ!

إنه وفاءُ امرأةٍ عامريةٍ توفى عنها زوجها ! ولقد روى «الهيثمُ بن عدى» قصةَ وفائها فقال : كان لها ابنا عم ، فلما مات زوجها توجَّهًا إلى بعض شيوخهما فقالا له :

فُلَانَةٌ جَارِيَةٌ شَابَّةٌ ، وَالْقَالَةُ (٥) إلى مثلها سريعة ، فوجَّهَ إليها فلتَحَضَّرْ ، وَاَعْرَضَ عَلَيْهَا أَيْنَا تَهْوَى حَتَّى يَتَزَوَّجَهَا ، فَوَجَّهَ الشَّيْخُ إِلَيْهَا ، فَأَتَتْهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهَا مَقَالَتَهُمَا !

(١) على العِلاتِ : في كلِّ الحالات والأوقات ، والظروف والملابسات .  
يخف للنجدة ، والغوث ، ولقاء الأعداء ودحرمهم .

(٢) الصَّقِيلُ : المصقول اللامع ، وماضى الشُّفرتين : كناية عن السيف القاطع . وليس ذو الشفرة كذي الشُّفرتين !

(٣) ثَوِيٌّ بِالْمَكَانِ : أَهَامَ فِيهِ .  
(٤) خُلَّةُ الرَّجُلِ : زَوْجَتُهُ . وَشَرَاهُ : بِاعُهُ .

(٥) الْقَالَةُ : كَلِمَةُ السُّوءِ . وَالْجَارِيَةُ: الْمَرْأَةُ .

فأطرقت مَلِيًّا تَتَكَّتُ الأَرْضَ حَتَّى حَفَرَتْ حُفَيْرَةً وَمَلَأَتْهَا مِنْ دَمِوعِهَا !  
وكان زوجها قد دُفِنَ بِمَقْبَرَةٍ تُدْعَى بِحَوْضَى فَالْتَفَتَتْ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا ،  
وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

فإن تسألانى عن هَوَاىَ ، فإنه  
رَهينٌ بحوضى ، أَيُّهَا الْفَتِيَّانِ  
وإن تسألانى عن هَوَاىَ ، فإنه  
رَهينٌ لهُ بِالْحَبِّ ؛ يَارْجُلَانِ  
وَإِنِّى لِأَسْتَحْيِيهِ ، وَالْمَوْتُ دُونَنا  
كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ حِينَ يِرَانِى !  
أَهَابُكَ إِجْلَالاً - وَإِن كُنْتُ فِي الثَّرَى (١)

لَوْجْهَكَ يَوْمًا ، أَنْ يَسْؤُوكَ مَكَانِ  
وهنا قال الشيخ : ياله من وفاء نادر ! فما أجمل أن تكون الزوجات على  
هذا الوفاء ... انصرفوا فى أمان الله ! ودعوها رمزا للوفاء النادر !  
وفى طريق العودة مرَّ الركب بقبر الزوج ، فوقفوا يترحمون عليه ! وإذا هى  
تطل من هودجها عليه ، متودِّدةٌ إليه ، مقبلة عليه ، وكأنها بين يديه ، وراحت  
تخاطبه من هودجها قائلة :

يا صاحبَ القبرِ يا مَنْ كان يُؤَسِّسُنِى  
وكان يُحَسِّنُ فى الدُّنْيا مُؤَاتَاتِى

وماتت الكلمات على شفيتها !!  
ثم شهقت ، فماتت لتلحق بمن كان قُرَّةَ عَيْنِهَا وَحَبِيبًا إِلَى قَلْبِهَا ! ولتكمل  
حين تلقاه قصيدتها !! فكانت مثلًا فى الوفاء النادر !



(١) الثرى : التراب المبلل بالندى .

(٥)

### نون من النساء !

رُويَ أن امرأةً من نساء العرب تزوجت رجلاً من «خثعم» فتعلق كلُّ منهما بصاحبه ، وتحالفا أن لا يتزوج أحدهما بعد موت صاحبه ، فمات قبلها !

فتزوجت ، فلامها بعض أهلها ، وقالوا :

أين ذاك الحبِّ والوجد ؟!

فأنشأت تقول :

وقد كان حُبِّي ذاك حُبًّا مُبرِّحاً<sup>(١)</sup>

وحُبِّي لذا إذا مات ذاك شديداً

وكان هَوَايَ عِنْدَ ذاك صِبابَةً

وحُبِّي لذا ، طُوِّلَ الحِياةَ يَزِيدُ

فَلَمَّا مَضَى عَادَتْ لِهَذَا مَوَدَّتِي

كذالك الهوى - بعد الذهابِ يَعُودُ

فعرفوا أن النساء ألوان !!

(٦)

### غدر الرجال !

إن كان «الوفاء» في النساء عزيزاً نادراً الوجود ، ففي الرجال من هو أكثر منهن غدراً !

حكى الأصمعيُّ قال :

كان رجل من الأعراب يُظهِرُ الْوَجْدَ<sup>(٢)</sup> لامرأته ، وكانت تُظهِرُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ !

فتعاهداً ألا يتزوج منهما من يبقى بعد صاحبه ؛ حتى يلتقيا في الجنة التي

وعد الله بها المتقين ، فتكون من نصيبه ، ويكون من نصيبها !

(١) برَّحَ به الحب : اشتدَّ ، فهو مُبرِّحٌ . (٢) الوجد : الحب .

فامتدت يَدُ المنية (١) إليها قبله ، فما كان منه إلا أن خطب امرأةً من يومه  
ذلك !

ف قيل له : أتخطبُ بعدَ يمينك وعهدك !؟

فقال :

خَطَبْتُ كما لو كُنْتُ قد مُتُ قبلَها      لكنت - بلا شك - لأولِ خَاطِبِ  
إذا غاب بَعْلٌ ، كان بَعْلُ مكانه      ولا بدَ من آتٍ ، وآخرَ ذاهِبِ !

(٧)

### من طلق امرأته مرغماً فتبعتها نفسه

كانت «عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل» عند «ابن أبي بكر الصديق» ،  
فأحبها حباً شديداً شغله عن تجارته ، فأمره أبو بكر ، فطلقها ، فتبعتها  
نفسه ، وظل على حُبِّه لها !

وذات يوم سمعه أبوه يقول :

فلم أر مثلي ، طلق اليوم مثلها

ولا مثلها - في غير جرمٍ - تطلقُ

لها خلقٌ سهلٌ ، وحسنٌ ، ومنصبٌ

وخلقٌ سوى ما يعابُ ، ومنطقُ

أعاتك (٢) لا أنساك ما حجَّ راكبُ

ومالاح نجمٌ في السماءِ مُحلقُ

فرق عليه أبوه ، فراجعها ، فقال لما رجعت إليه :

أعاتك ؛ قد طلقت من غير بغضةٍ

وروجعت للأمر الذي هو كائنُ

(١) المنية : الموت .

(٢) أعاتك : أسلوب نداء كأنك قلت : يا عاتك ، ولك أن تفتح الكاف كما كانت عند نطق الاسم  
كاملاً حين تقول : أعاتكة ، ولك أن تضمها . وكان الاسم قد اكتمل . فتقول : أعاتك .

كذلك أمر الله غاد ورائحُ  
 على الناس فيه أفضةً ، وتباينُ  
 وما زال قلبي للتفرُّق بائناً  
 فقلبي - لما قد قربَ الله - ساكنُ  
 ليهنك<sup>(١)</sup> أنى لم أجدُ منك سَخَطَةً  
 وأنك قد جلتَ عليك المحاسنُ  
 وأنك مِمَّن زَيْنَ الله أمرها  
 وليس لما قد زَيْنَ الله شائناً  
 فلم تزل عنده ، حتى قُتل «يوم الطائف» رُمى بسهم فمات ، فَجَزَعَتْ عليه  
 جزءاً شديداً ، وقالت ترثيه :  
 آليتُ لا تَنفكُ عيني حزينَةً  
 عليك ، ولا ينفكُ جلدِي أغبراً  
 فَلِلَّهِ عَيْنًا من رأى مثله فتىً  
 أشدَّ ، وأحمى فى الهياج ، وأصبرا  
 إذا أُشْرِعَتْ فيه الأسنَةُ خاضها  
 إلى الموتِ ، حتى يتركَ الرمحَ أشقرا<sup>(٢)</sup>  
 ثم خطبها «عمرُ بن الخطاب» ، فأوَلَّم عَلِيَّهَا ، فمكثت عنده حتى قُتل عنها !  
 قتله أبو لؤلؤة ، فقالت ترثيه :  
 عَيْنُ جودى بعبرةٍ ، ونَحِيبِ  
 لا تَمَلَى على الأمير النجيب  
 فجَعَتنى المنونُ بالفارس المُعُ  
 لَمَ يوم الهياج والتأتيب<sup>(٣)</sup>  
 عِصْمَةَ الله ، والمعِينُ على الده  
 حِ ، غِيَاثُ الملهوفِ والمكروبِ

(١) لِيَهْنِكَ : هنيئاً لك !

(٢) أَشَقْرٌ : بلون الدم . والأشقر من الدماء : ما صار علقاً ، لم يخالطه الغبار .

(٣) المَعْلَمُ : الذى له علامة فى الحرب تميزه عن غيره ، والتأتيب : تقلد القوس فى الحرب .

قُلْ لِأَهْلِ الْبِأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ : مُوتُوا

قد سقته المنون أم الرقوب<sup>(١)</sup>

ثم تزوجها «الزبير بن العوام» فمكثت عنده حتى قتل عنها منصرفا من  
«وقعة الجمل» بوادي السباع قتله «ابن جرموز» ، فرثته ، وفيه تقول :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بِهَمَّةٍ

يوم اللقاء ، وكان غير مُعَرِّدٍ<sup>(٢)</sup>

يا عمرو ! لو نبهته لو جدته

لا طائشا رهب الجنان ، ولا اليد<sup>(٣)</sup>

ثكلتك أمك أن قتلت مسلما

حلت عليك عقوبة المتعمد

فخطبها على بن أبي طالب ، فبعثت إليه :

إني لأضينُّ بك عن القتل !

وإنما استحييت فامتنعت بعد قولها : آليت لا تنفك عيني إلخ .

(٨)

الرجل الذي خرج من الجنة !

قصة الفرزدق والنوار

وقصة «الفرزدق مع النوار» لا تخلو منها كتب الأدب .

والفرزدق لقب غلب عليه ، وتفسيره : الرغيف الضخم الذي يجففه النساء  
للفتوت (الثريد) أو (الفتة بلغة المصريين) .

وقيل : بل هو القطعة من العجين التي تبسط ، فيخبز منها الرغيف ، شبه  
وجهه بذلك ، لأنه كان غليظا جهما ، واسمه «همام بن غالب» .

(١) المنون : الموت . وأم الرقوب : الداهية .

(٢) البهمة : الشجاع الذي يُستبهمُ ماته على أقرانه .

والمعرد : الذي يهرب ويفر من الميدان . يقال : عرد الرجل عن قرنه : إذا أحجم ونكل .

(٣) الرهب : الخوف مثل الرشد .

ويقول أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى :

كان الشعراء فى الجاهلية من قيس ، وليس فى الإسلام مثل حظّ تميم فى الشعر ، وأشعر تميم : جريراً والفرزدق .

### ﴿ خبره مع النّوار : ﴾

ويقول أبو الفرج : كان من خبر النّوار - والنّوار ابنة أعين بن صعصعة ، وكانت ابنة عمه - أنه خطبها رجل من بنى عبد الله بن دارم فرضيئته ، وكان الفرزدق وليّها ، فأرسلت إليه أن زوجنى من هذا الرجل :

فقال : لا أفعل أو تشّهدينى أنك قد رضيت بمن زوجتكَ ؛ ففعلت :

فلما توثق منها ، قال :

أرسلنى إلى القوم فلياتوا ، فجاء القوم ، وملئوا المسجد ، وجاء الفرزدق فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

قد علمتم أن «النّوار» قد ولّتنى أمرها ، وأشهدكم أنى قد زوجتها نفسى على مئة ناقة حمراء سوداء الحدقة :

فنضرت من ذلك ، وأرادت الشخوص إلى ابن الزبير حين أعيائها أهل البصرة الأ يطلّقوها من «الفرزدق» حتى يشهد لها الشهود :

وأعيائها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء لسان الفرزدق ؛ وخوفا من هجائه :

و«ابن الزبير» يومئذ أمير الحجاز والعراق ؛ يدعى له بالخلافة ؛ فلم تجد من يحملها إليه لترفع شكواها خوفا من لسان الفرزدق :

ولكن فتية من عدى حملوها إلى «ابن الزبير» ، فأدركها «الفرزدق» وقد قدمت مكة واستجارت «بخولة بنت منظور بن زبّان» ، وكانت عند «عبد الله بن الزبير» .

فلما قدم «الفرزدق» مكة اشرباً الناس إليه ، ونزل على أبناء «عبد الله بن الزبير» فاستنشدوه ، ثم شفعوا إلى أبيهم ، فجعل يشمّعهم فى الظاهر حتى إذا صار إلى «خولة» قلبته عن رايه ، فمال إلى النّوار ووقف إلى جانبها ،

فقال الفرزدق فى ذلك :

أما بنوه فلم تُقبَل شفاعتُهم

وشُفَعَت بنتُ منظور بن زيانا

ليس الشفيع الذى يأتىك مؤتزرا

مثل الشفيع الذى يأتىك عُريانا

قال : وسَفَرَ بينهما رجال من بنى تميم كانوا بمكة ، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة ، ولا يجمعهما بيت حتى تحكم العشيرة فى أمرهما ، ففعلا ، فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها .

قال الحرمازى : ومكثت النوار عنده زمانا ، ترضى عنه أحيانا ، وتخاصمه أحيانا ، وكانت النوارُ امرأةً صالحةً ، فلم تزل تشمئزُ منه ، وتقول له : ويحك ! أنت تعلم أنك إنما تزوجتى ضُغطةً (على رغمى) ، وعلى خُدعة !

قال المازنى : فلم تزل النوار تُرقِّقه ، وتستعطفه حتى أجابها إلى طلاقها ، وعندئذ ندم ندمًا شديدًا ، ثم قال :

نَدِمْتُ ندامة الكُسَعِيِّ <sup>(١)</sup> لما	غدت منى مُطَلَّقة نوارُ
ولو أنى ملكت يدي وقلبي	لكان على للقدر الخيار
وكانت جنتى فخرجت منها	كآدم حين أخرجه الضُّرارُ <sup>(٢)</sup>
وكنت كفاقى عينيه عمداً	فأصبح ما يُضىء له نهار !

(٩)

### عدو المرأة حتى التلاقى !

وإذا كان الفرزدق قد طلق امرأته وندم على ما فعل ! ؛ فهذا أنموذج مختلف فقد طلق امرأته ، وتنفس الصُّعداء ، واستراح ، إنه يقول :

(١) الكُسَعِيُّ : رجل يضرب به المثل فى الندامة على كَسْرِ قوسه ، وكان قد جربها فى عدة ظباء ، فظن أنها لم تصبهن ، ثم اتضح أنها أصابتهن جميعا .  
(٢) الضُّرار : مخالفته أمر ربه .

رحلت «أُنَيْسَةَ» بِالطَّلَاقِ      وَعُتِقْتُ مِنْ رِقِّ الْوُثَاقِ (١)  
 بَانَتْ فَلَمْ يَأْتُمْ لَهَا      قَلْبِي ، وَلَمْ تَبْكِ الْمَآقِيَ (٢)  
 وَدَوَاءُ مَا لَا تَشْتَهِي      هِ النَّفْسُ : تَعْجِيلُ الْفِرَاقِ  
 لَوْلَمْ أُزْحِ بِفِرَاقِهَا      لِأَزْحَتْ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ (٣)  
 وَخَصَيْتُ نَفْسِي لَا أُرِيدُ (٤)      دُ حَلِيلَةَ حَتَّى التَّلَاقِ !

(١٠)

### يَغْزُو الْعَدُوَّ وَالْهَوَى يَغْزُو فَوَادَهُ

حدّث الزبير بن بكار قال :

رأيت رجلاً بناحية الثغر على الحدود يحمل سلاحه وحركات المحب لا تخفى فى شمائله ، ولا يسترها بتصاؤونه ، فسألته فى بعض أيامه - وقد خلوت به - عن حاله ؛ فكان جوابه ، وقد تحدرت الدموع من عينيه :

أنا فى أمرى رشاد      بين غزو وجهاد  
 بدنى يغزو عدوى      والهوى يغزو فوادى !

فلما رأيت منه ما رأيت ، أشفقت عليه !

وسألت الله أن يجمع بينه وبين من يحب ويهوى !

وينتصر على عدوه ! ولسان الحال يقول :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

يظنّان كل الظن أن لاتلاقيا !

(١) كان قبل طلاقها كالأسير الموثق ، فلما طلقها كأنه أطلق من وثاقه .

(٢) بانّت : فارقت وبعدت ، والمآقى جمع «موق» وهو طرف العين الذى يلى الأنف وهو مجرى الدمع .

(٣) أزح : أى أرتاح بعد المشقة ، والإباق : الهرب .

(٤) خصى النفس : قطعها عن الملاذ ، والحليلة : الزوجة وحتى التلاقى : إلى وقت تلاقى الخلق يوم القيامة .

(١١)

### للناس فيما يعشقون مذاهب !

أورد ابن الجوزى فى ذم الهوى أن «أبا عبد الله الحبشاني» كان يعشق جارية سوداء (اسمها سوداء العلاقمية)، وقد تَوَلَّأَ بها إلى حد أنه أشرف بسبب هذا العشق على الموت !

وقالوا لمولاها : لو وُجِّهت «صفراء العلاقمية» إليه فاعله يعقل إذا رآها !

ولما أذن دخلت عليه ، فقالت :

كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟

قال : بخير مالم تَبْرَحِي !

قالت : ما تشتهي ؟

قال : قُرْبِكَ .

قالت : فما تشتهي ؟

قال : حُبِّكَ !

قالت : فتوصى بشيء ؟

قال : أوصى بك إن قبلوا مني !

قالت: إنى أريد الانصراف .

قال : فتعجلي ثواب الصلاة علىّ .

فقامت ، فانصرفت ، فلما رآها مولىة تنفس الصعداء ومات من ساعته (١).

وقد اطمأن قلبه إلى صلاتها عليه !

وأنها لن تحرم ثواب تلك الصلاة!

إنه الحب !!

(١) ذم الهوى لابن الجوزى تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ٥٢٠ .

(١٢)

### أعرابي متعفف

قال أعرابي في امرأة يعشقها ، وجمع الله بينهما في الحلال :

ما زال القمر يُرينيها !

فلما غاب أرتنيه !

قيل : فما كان بينكما ؟

قال : أقصى ما أحلّ الله !

وأدنى ما حرّم الله عز وجل :

إشارة في غير باس<sup>(١)</sup> !

ودنو في غير مساس !

وأنشأ يقول :

وَلرُبَّ لَذَّةٍ لَيْلَةٍ قَدْ نَلْتَهَا

وحرامها - بحلالها - مدفوع !

(١٣)

### هي وهو

قال أعرابي من فزارة :

عَشِقْتُ جَارِيَةً مِنَ الْحَيِّ .. فَحَادَثْتُهَا سَنِينَ كَثِيرَةً !

فوالله ما حَدَّثْتُ نَفْسِي بِرَبِيَّةٍ قَطُّ ، سِوَى أَنْ رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّهَا فِي سِوَادِ

الليل ، فَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى كَفِّهَا !

فَقَالَتْ : مَهْ ! (اكفف عن هذا) ، لَا تُفْسِدْ مَا صَلَحَ !

فَارْفُضْ جَبِينِي<sup>(٢)</sup> عِرْقًا !

وَلَمْ أَعُدْ !

(١) الباس : البأس خففت همزتها ، ومن معاني البأس : الحرج ، والخوف . يقال : لا بأس عليه ، ويقال : لا بأس به : لا مانع ، ولا بأس فيه : لا حرج .

(٢) ارفض : سال .

(١٤)

### وسؤال عن الحب !!

قال «الأصمعي» : رأيت «جارية» وهي تقول :

اللهم مالك يوم القضاء ، وخالق الأرض والسماء ، ارحم أهل الهوى ،  
واستنقذهم من عظيم البلاء ، واعطف عليهم قلوب أودائهم<sup>(٢)</sup> بالصنّاء ،

فإنك سميع النجوى ، قريب لمن دعا ، ثم انشأت تقول :

يارب إنك ذو منٍّ ومَغْفِرَةٌ

بَيَّتْ بِعَافِيَةٍ مِنْكَ الْمُحِبِّينَا

الذاكرين الهوى من بعد ما سهرُوا

حتى يظنُّوا على الأيدي مُكَيِّنَا

فقلت لها : وما الحب ؟ وأنا به أعرف منها - فقالت : جلّ عن أن يخفى ،

ودقّ عن أن يرى ، له كَمَوْنٌ كَكَمُونِ النارِ في الحجر ، إن قدحته<sup>(٣)</sup> أوْراك ، وإن

تركته تواري !

(١٥)

### سَلَامَةٌ وَالْقَسَى

عندما راي « عبدُ الله بن عبد الرحمن » - الذي كان يعرف بالقس ، لعبادته

- سَلَامَةٌ ، وقعت في قلبه ، ووقع في قلبها :

فقالت له يوماً :

أنا - والله - أحبك !

(١) جمع ودود .

(٢) قدح بالزئد ، ضرب به حجره لتخرج النار منه ، ويقال : قدح النار من الزند ، أخرجها منه ،

وقدح الزئد ، ضربه بحجره ليخرج النار منه . وأوْرى الزئدُ ، خرجت ناره .

فقال :

وأنا والله - أحبك :

قالت : فأنا والله - أشتهى أن أضع فمى على فمك :

قال : وأنا والله - أشتهى ذلك :

قالت : فما يمنعك من ذلك ؟:

قال : ويحك ، إنى سمعت الله يقول :

﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٧) [الزخرف : ٦٧]

فأنا أكره أن تكون خلتي لك<sup>(١)</sup> فى الدنيا منقطعة فى الآخرة :

ثم وثب ، فأنصرف :

وبقيت قصة الحب العفيف .. حب القس سلامة ... وحب سلامة القس

نموذجاً للعفاف والظهر فى دنيا الحب ، وعالم المحبين : إلى جانب قيس

وليلى .. وكثير وعزة .. وقيس وبنى :

(١٦)

### زوجات يصفن أنفسهن شعراً :

اعتدنا على أن يصف الرجال النساء : أو تصف النساء الرجال :

ولكن أن تصف «زوجات أربع» أنفسهن لزوج واحد ، فيما يشبه المباراة فهذا

هو الطريف :

حدث الأصمعى قال :

كان أعرابى عنده أربع نسوة : كندية ، وغسانية ، وشيبانية وغنوية ،

والأعرابى غسانى ، وكن متظاهرات<sup>(٢)</sup> على الغنوية فجمع بينهن ثم قال :

(١) الخلة ، بضم الخاء المحبة التى تخلت القلب ، فصارت خياله ، أى فى باطنه .

(٢) يتظاهرن عليها ، ويتحزين ضدها .

لِتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُن قَوْلًا تَصِفُ بِهِ نَفْسَهَا .

فَقَالَتِ الْكَنْدِيَّةُ :

كَأَنِّي جَنَى النِّحْلِ وَالزَّنَجْبِيلِ      وَصَفْوُ الْفَوَاكِهِ وَالسُّسْبِيلِ  
يَزِينُ سَنَا الْوَجْهِ لِي مَبْسَمٌ      كَمَثَلِ اللَّأَلَى ، وَعَيْنُ كَحِيلِ

وَقَالَتِ الْفَسَانِيَّةُ :

بِرَانِي إِلَهِي إِلَهَ السُّمَمَا      نِصْفًا قَضِيبًا وَنِصْفًا كَثِيبًا  
وَأَبْسَنِي مَا يَسُوءُ الْحَسُودَ      جَمَالًا ، وَمَلْحًا ، وَحُسْنًا عَجِيبًا (١)

وَقَالَتِ الشَّيْبَانِيَّةُ :

أَفُوقَ النَّسَاءِ - إِذَا مَا اجْتَمَعَ      ن - كَبَدْرِ السَّمَاءِ نَجُومَ الدُّجَى (٢)  
وَتَقْصُرُ عَنِّي جَمِيعُ الصِّفَاتِ      فَمَنْ نَأْتِنِي نَالَ الرَّجَا

وَقَالَتِ الْغَنُويَّةُ :

تَزُودُ بَعَيْنِكَ مِنْ بَهْجَتِي      فَفَدَّ خَلَقَ اللَّهُ مِنِّي الْجَمَالَ  
إِذَا مَا تَفَرَّسْتِ فِي رُؤْيَتِي      رَأَيْتَ هِلَالًا وَأَحْوَى غَزَالًا (٣)

(١٧)

### سِرُّ الزَّرِّ الذَّهَبِيِّ !!

القاضي الفاضل «مجير الدين عبد الرحيم بن علي البيساني» كان وزير السلطان الملك الناصر «صلاح الدين» ورئيس «ديوان الإنشاء» .

وكان «الملك العزيز بن صلاح الدين» يميل إلى «القاضي الفاضل» في حياة أبيه ، فاتفق أن «العزيز» هوى «قينة»<sup>(٤)</sup> شغلته عن مصالحه ، وبلغ ذلك والده ، فأمره بتركها ، ومنعه من صحبتها فشق ذلك عليه ، وضاق صدره ، ولم يجسر أن يجتمع بها !

(١) الملح : الملاحه وقوامها كالقضيب والعود في استقامته ، ونصفها الأسفل كالكتيب الرملي .  
(٢) أي كما يفوق بدر السماء نجوم الدجى .  
(٣) الأحوى : الأسمر الشفتين أي : وغزالا أحوى . (٤) القينة : الجارية .

فلما طال ذلك بينهما أهدت له مع بعض الخدم «كُرّة عَنبر» فكسرها فوجد في وسطها «زر ذهب» ففكر فيه ، ولم يعرف معناه ، واتفق حضور القاضى الفاضل ، فعرض الأمر عليه وطلب منه تفسيراً ، وبيانا شافيا ، يريحه من عناء التفكير ، فعمل القاضى الفاضل فى ذلك بيتين وأرسلهما إليه وهما :

أهدت لك العنبر فى وسطه

زرٌّ من التَّبَر<sup>(١)</sup> دقيق اللحم

فالزرّ فى العنبر معناهما

زرٌّ هكذا مستتراً فى الظلام !

(١٨)

### هل فيكم عاشق ؟!

جاء فى زهر الآداب للحصّرى :

قال اليمانى ابن عمرو ، مولى ذى الرياستين : كان ذو الرياستين يبعث به ، وبأحداث<sup>(٢)</sup> من أهله إلى شيخ بخراسان ، ويقول :  
تعلموا منه الحكمة ؛ فكنا نأتيه ، فإذا انصرفنا من عنده أخذ ذو الرياستين، يسألنا عما أفادنا ، فنخبره !

فسرنا إلى الشيخ يوما ، فقال لنا : أنتم أدباء ، وقد سمعتم الحكمة ، وفيكم أحداث ، والآمال معلقة عليكم ؛ فهل فيكم عاشق ؟  
قلنا : لا ، قال : اعشقوا ؛ فإن العشق يُطَلِّقُ الغبى ، ويفتَحُ جِبِلَّةَ البليد ، ويُسَخِّى كَفَّ البخيل ، ويبعث على النظافة وحسن الهيئة ، ويدعو إلى الحركة والذكاء ، وشرف الهمة ، وإياكم والحرام !

قال : فانصرفنا ، فسألنا «ذو الرياستين» عما أفادنا فى يومنا فهبناه أن نخبره ، فعزم علينا<sup>(٣)</sup> ، فقلنا له : أمرنا بكذا وكذا .

قال : صدق .

(١) التبر : الذهب . (٢) أحداث : جمع حدث ، وهم الناشئة . (٣) أمرنا .

## إذا عُرِف السبب بطل العجب !!

عجب الطلاب مما قاله «ذو الرياستين» ، فقال لهم: أتدرون من أين أخذ هذا الأدب ؟

قالوا : لا ، قال :

إن «بهرام جور» كان له ابن رشحه للملك من بعده ، فنشأ ساقط الهمّة ، خامل المروعة ، دنىء النفس ، سيئ الأدب ، كليل القريحة ، كهام<sup>(١)</sup> الفكر ، فغمته ، ووكل به من المؤدبين والحكماء من يلازمه ، ويعلمه الحكمة .

وكان يسألهم ، فيحكون له ما يسوء ، إلى أن قال له بعض مؤدبيه : قد كنا نخاف سوء أدبه ، فحدث من أمره ما صيرنا إلى الرجاء في فلاحه

قال : وما ذلك ؟

قال : رأى ابنة فلان «المرزبان»<sup>(٢)</sup> ، فعشقتها ، فغلبت عليه ، فهو لا يهدأ إلا بها ، ولا يتشاغل إلا بذكرها .

فقال «بهرام جور» : الآن رجوت صلاحه ؛ ثم دعا بأبى الجارية ، فقال : إنى مسرّ لك سرّاً فلا يعدوئك ، فضمن له ستره ، فأعلمه أن ابنه قد عشق ابنته ، وأنه يريد أن يتكحها إياه ، وأمره أن يأمرها بإطماعه بنفسها من غير أن يراها أو تقع عينه عليها ؛ فإذا استحكمت طمعه فيها ، تجنت عليه ، وهجرته !!

فإذا استعتبها<sup>(٣)</sup> أعلمته أنها لا تصلح إلا للملك ، أو من همته همة ملك ، وأن ذلك يمنعها من مواصلته ، ثم ليعلمه خبرها وخبره أولاً بأول ، ولا يطلّعها على ما أسر إليه ؛

فقبل أبوها ذلك منه ؛

(١) الكهام : (بفتح الكاف) بطيء النصره والحرب ، الجبان ، والغبيّ .

(٢) المرزبان ، رئيس الفرّس ، أو الفارس الشجاع المقدم على القوم ، وهو دون الملك فى الرتبة .

(٣) استعتبها : استرضاه ، وحاول إرضاءها .

ثم قال للمؤدب . خَوْفُه بى ، وشجعه على مراسلة الجارية ففعل ذلك ،  
وفعلت الجارية ما أمرها به أبوها ، فلما انتهت إلى التجنى عليه ، وعلم الفتى  
السبب الذى كرهته من أجله أخذ فى الأدب ، وطلب الحكمة ، والعلم ،  
والفروسية ، ولعب الصوألجة<sup>(١)</sup> ، والرماية ، حتى مهر فى ذلك .

ورفع إلى أبيه أنه يحتاج من المطاعم ، والآلات ، والدواب والملابس ،  
والوزراء فوق الذى كان له ، فسُرَّ الملك بذلك ، وأمر له بما أراد ، ودعا بمؤدبه  
فقال :

إن الموضع الذى وضع ابنى نفسه فيه بحب هذه المرأة لرفيع فتقدّم إليه ، أن  
يرفع أمرها إلىّ ، ويسألنى أن أزوجه إياها ، ففعل !  
فزوجه منها ، وأمر بتعجيل نقلها إليه ، وقال له :

إذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيئاً حتى أصير إليك ، فلما اجتمعا صار  
إليه فقال :

يأبئى ؛ لا يضعنّ منها عندك مراسلتها إياك ، وليست فى حبالك ، فأنا  
أمرتها بذلك ، وهى من أعظم الناس منةً<sup>(٢)</sup> عليك ؛ بما دعتك إليه من طلب  
الحكمة ، والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحدّ الذى تصلح معه للملك  
بعدى !

فزدها فى التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك !

ففعل الفتى ذلك ، وعاش مسروراً بزوجته ، وأصبح أبوه مسروراً ، به وزاد  
فى إكرام «المرزبان» ، ورفع مرتبة قدره وعقد لابنه الملك بعده !

وبعد ... فتعال إلى «أروع ما تبادلته المحبون من رسائل» . بعد أن عايشنا

«مشاهير العشاق ومعشوقاتهم» و«أعجب قصص الحب» .

(١) الصوألجة : جمع صولج ؛ عصا معقوف طرفها ، يضرب بها الفارس الكرة ، ويقول الشاعر :  
كرة ضربت بصوألجة  
فتلقفها رجلٌ رجُلُ

(٢) منة : فضلا .

## الباب الثالث

### أروع ما تبادلته المحبون من رسائلٍ شعرية ، وعباراتٍ وُدِّيَّة

إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رضى

فأين حلاوات الرسائل والكتب ؟

(عباس بن الأحنف)

\* تعيش في هذا الباب مع ما يأتى :

أولا - رسائل شعرية متبادلة (خمسة عشر نموذجا)

ثانيا - ما كتبوه على العُنوانات ، وسلخوا به سبيل المداعبات .

(اثنا عشر نموذجا)

ثالثا - بعض ما كتبه المحبون على الفصوص

(ثلاثة نماذج)

رابعا - ما نقشه أهل الهوى على خواتمهم . (أحد عشر نموذجا)

خامسا - مداعبات لغوية على الخواتم (نموذجان)

سادسا - ما وجد مكتوبا على ذيول الأقمصة ، وطرز الأردية ، والأكمام

(عشرة نماذج)

سابعا - ما وجد مكتوبا على العصائب .

(نموذج واحد)

ثامنا - ما وجد مكتوبا على الستور والوسائد

تاسعا - ماذا يقول الورد للعاشقين ؟ (نموذجان)

## الرجب بعد وسائل الاتصال الحديثة

حُرِّمَ المحبون والعاشقون لذة الشوق، والانتظار بعدما جدَّ ما جدَّ من وسائل الاتصال الحديثة التي قربت البعيد ، وأزالت المسافات ، وأحيت مَيِّتَ الآمال من جديد بعد أن كانت الرسائل هي الأمل الوحيد !

وكانت تلك «الرسائل المحروسة» تظل ذاهبة وآيبة بين المحبين والعاشقين ، وهم في انتظارها على أحرَّ من الجمر !

فإذا بالتليفون المحمول ، و«الفاكس» وشبكات الاتصال الحديثة تقتحم الحواجز والسدود ، وإذا بها تصبح رهن الإشارة ، والبديل عن الزيارة !

وانتهى عصر استبطاء الرسائل ، وسؤال المحب «سِرِّبَ القَطَا» أن يُعِيرَهُ جناحه لعله يطير إلى من يحبه ويهواه !

ومع هذا فقد ظلَّت «رسائل المحبين» ذات مذاق خاص ، تعبر عن أرق المشاعر ، وأحلى الأمنى ، وأجمل الأحلام ، وإن كانت لاتخلو من شكوى وعتاب ، وابتسامات ودموع !

فتعال نمتع أنفسنا بألوان من تلك الرسائل التي تصور النفس الإنسانية فى أرق مشاعرها .

## أولا :رسائل شعرية

(١)

يقول الوشَّاء : أنشدنى بعض الأدباء :

هذا كتابٌ مُتَيِّمٌ      خَطَّتْ إِيكَ أَنْامِلُهُ (١)  
مَزَجَ المِدَادَ بَدْمَعِهِ      فَبَكَتْ عَلَيْهِ عَوَاذِلُهُ (٢)  
أَنْتَ الطَّبِيبُ فِدَاؤُهُ      يَا مُبْتَلِيَهُ ، وَقَاتِلُهُ

(١) المتَيِّمُ: من ذهب الحب بعقله ، واستعبده الهوى .  
(٢) المِدَادُ : الحبر الذى يكتب به ، والعواذِلُ : من يَلْمَنُهُ فى الهوى .

(٢)

وقال آخر فى رسالة له إلى محبوبه يشكو الصبابة :

هذا كتابٌ مُتَيِّمٌ يشكو الصَّبَابَةَ (١) فى كتابِهِ  
فازدُدْ عليه جوابه كى يُسْتَرِيحَ إلى جَوَابِهِ  
لو كان ينطقُ ذا الكتا بٌ شكا إليك عظيمَ مَآبِهِ

(٣)

وقال آخر فى رسالة إلى محبوبته يطلب منها أن تصله فيقول :

صلينى بالكتابِ وبالسلام  
وزُورِ زُورَةَ فى كلِّ عام  
وجُودِ بالكتابِ وعنوانيه  
إلى الصَّبِّ الكَثيبِ المستهام (٢)

(٤)

وهذا محب يعبر عما كان لرسالة محبوبته من أثر فى نفسه فيقول :

لم يَزِدْنِي الكتابُ إلا اشتياقاً  
واشتعالاً من الهوى فى ضَمِيرِي  
بأبى أنتِ (٣) يا حبيبةَ قلبِي  
ومُنَاىَ وغَايتِي وسُرُورِي

(٥)

وهذا محب يمحو بدموعه سطور رسالة محبوبته ويسألها الرحمة لـ

قُولاً لَمَنْ كَتَبَ الكتابَ بكفِّهِ  
ارحَمْ - فديتُك - ذلتى وخُضُوعِي

(١) الصبابة : الشوق ، أورفته وحرارته .

(٢) والمستهام : الذى هام على وجهه فى الأرض لا يدرى أين يتوجه .

(٣) بأبى أنت : أهديك بأبى .

مازلتُ أبكى مُذْ قراتُ كتابها  
حتى مَحَوْتُ سَطُورَهُ بِدُمُوعِي

(٦)

ويقول الحسن بن وهب فى إحدى رسائله :

يَا مُنَايَ وَسُـرُورِي      جُهْدُنَا غَيْرُ سِيرِ  
والذى نشكوه فى الكُتُبِ      بِقَلِيلٍ مِنْ كَثِيرِ  
لم تُطِيقِ ألسُنُنَا مِنْ      وَصْفِهِ عَشْرَ عَشِيرِ<sup>(١)</sup>  
فثَقِي - يا أبى أن...      بت - بمكنون الضمير  
ثم قولى مَطَّلَعِ الجِو      زاءٍ والشُعْرَى العَبُورِ<sup>(٢)</sup>  
حفظ الله فَتَى با      تَ لَنَا غَيْرَ سَمِيرِ

(٧)

ويقول آخر :

كَتَبْتُ إِلَى يَا رُوحِي كِتَابًا  
فوافقَ مُنِيَّتِي ، وَيُلُوغَ سُولِي<sup>(٣)</sup>  
ولولا العَيْبُ هِمَّتْ إِلَيْكَ لَمَّا  
تناولتُ الكِتَابَ مِنَ الرَّسُولِ  
مخافةً نَظْرَةَ مَنْ عَيْنِ وَأَشْرٍ  
وتَشْنِيعَ المَقَالَةَ بِالحَلِيلِ

(٨)

وهذا محب كان لكتاب محبوبته أثره فى إعادة الروح إليه ويصف ذلك

فيقول :

- (١) العشير : العشر .  
(٢) الجوزاء : برج فى السماء ، والشعري : الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء .  
والشعري العبور : أحد نجمين بجوار الجوزاء ، والأخرى : الشعري الغميصاء .  
(٣) السؤل والسؤل : ما سألته .

لولا الكتابُ الذي جاء الرسولُ به  
مِنَ الحبيبِ لذابَ القلبُ واحترقاً  
جاء الرسولُ على يأسٍ بموعده  
وقد قضيتُ فأحيا لى به زمناً

(٩)

وأنشد أبو عبد الله الواسطي :  
كتبتَ إلى تذكرُ ما تلاقى  
مِنَ الشوقِ المبرحِ والفراقِ  
لعمركُ ما اتهمتُك في وِدادِ  
ولكنْ لم تلاق كما ألقى !  
فُوادي هائم ، والعينُ تَذرى  
دموعاً تستهلُّ من المآقى  
وقد ذقتُ الفِراقَ وكان مُراً  
كريبها طعمُهُ عند المذاقِ  
على أنى - وإن أبديتُ صبراً  
على حدِّ الصبابة - غيرُ باقِ

(١٠)

وهذا منصور بن إبراهيم يكتب إلى محبوبته بماء الجفون :  
كتبتُ إليك بماء الجفونِ  
وقلبي بماء الهوى مُشربُ  
فكفى تخطُّ ، وقلبي يُملُ  
وعينيُّ تمحو الذي تكتبُ



(١١)

**\*\* أنت التي \*\***

بعث «ابن الدمينة» إلى محبوبته «أمامة» بثلاثة أبيات يلومها ، فردت عليه  
تبادلها لوما بلوم ؛ إنه يقول :

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ السُّرَى

وَجُونََ القَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومٌ<sup>(١)</sup>

وانت التي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَازَةً

وَقَرَّقْتَ قَرَحَ القَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ<sup>(٢)</sup>

وانت التي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكَلَهُمْ

بَعِيدُ الرِّضَا ، دَانِي الصُّدُودِ ، كَظِيمٌ<sup>(٣)</sup>

(١٢)

**\*\* وأنت الذي \*\***

فأجابته أمامة على وزنها ورويها :

وانت الذي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي

وَأَشْمَتُ بِي مِنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ<sup>(٤)</sup>

وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي

لَهُمْ غَرَضًا ، أُرْمَى ؛ وَأَنْتِ سَلِيمٌ<sup>(٥)</sup>

- (١) الدَّجَجُ : سير أول الليل ، والسُّرَى : عامته ، وإضافة الدَّجَجِ إليه من إضافة البعض للكل .  
والجُونُ : الأسود ، والجلهتان : ناحيتا الوادي وطرفاه ، وجثم الطائر : ألصق صدره بالأرض .  
والمعنى : من أجلك تكلفت الأسفار في ظلمة الليل فأمر بأماكن لا يوجد فيها غير القطا .  
(٢) الحزازة : الوجد الذي يقطع القلب . ويقال : قَرَّقْتُ الجرح : إذا قشرته قبل أن يبرأ ، والكليم :  
الجريح . ما يقطع قلبه غير الوجد بك . ، وليس هناك من يجدد جراحه سواك .  
(٣) أَحْفَظُهُ : أغضبه . والكظيم : المملوء جوفه غضبا ، لقد أغضبت قومي عليّ فكلهم بعيد  
الرضا عني ، قريب الصد والهجر ممتلئ جوفه غيظا .  
(٤) كما تلومني ألومك في خلف الوعد حتى شمت بي من كان يلومني فيك .  
(٥) لقد كشفت أمري بين الناس حتى صرت لهم غرضاً لألسنتهم وأنت سليم .

فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكَلِّمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ

بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كَلُومٍ (١)

(١٣)

### \*\* رسالة إلى الحبيب العاتب ! \*\*

قال عمر بن أبي ربيعة :

أَيُّهَا الْعَاتِبُ الَّذِي رَامَ هَجْرِي

وَبِعَادِي ، وَمَا عَلِمْتُ بِذَلِكَ !

قُلْتَ : أَنْتَ الْمَلُولُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ

بئس ما قلت ، ليس ذاك كَذَا كَأَنَّكَ

زَعَمُوا أَنَّنِي بِغَيْرِكَ صَبًّا

جَعَلَ اللَّهُ مِنْ أَحَبِّ فِدَاكَ !

فَلَوْ أَنَّ الَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ

خَيْرَ النَّاسِ وَاحِدًا مَا عَدَاكَ

وَلَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْيِكَ الْمَنِيَا

- غَيْرَ غَبْنٍ - بِنَفْسِهِ لَوَقَاكَ

وَلَوْ أَقْسَمْتَ لَا يَكَلِّمُ حَتَّى

عُمَرُ نُوْحٍ - بَعِيْشُهُ مَا عَصَاكَ

فَارِضَ عَنِّي جَعَلْتُ أَفْدِيكَ إِنِّي

- وَالْعَزِيزُ الْجَلِيلُ - أَهْوَى رِضَاكَ

(١٤)

### \*\* ومن رسائل الشوق للبهاء زهير \*\*

يَا كِتَابًا مِنْ حَبِيبٍ

أَنَا مُشْتَاقٌ إِلَيْهِ

(١) يَكَلِّمُ : يَجْرَحُ . مَا أَكْثَرَ تِلْكَ الْجُرُوحَ وَالْكَلُومَ الَّتِي أَصَابْتَنِي وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ !

جَاءَنِي مِنْهُ سَلَامٌ  
سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْنَاهُ

(١٥)

### \*\* أخط وأمحو ما خططت ! \*\*

وهذا عباس بن الأحنف شاعر الغزل العفيف يكتب إليها شاكيا باكيا  
فيقول :

أخط وأمحو ما خططتُ بعبيرة  
تسحُّ على القرطاسِ سحَّ غروب<sup>(١)</sup>

ثانيا : ما كتبوه على العنوانات وسلخوا به سبيل المداعبات

(١)

\* كتب أحدهم :

إلى سبتى ومالكى ورؤحى  
من الجسد الطريح بغير رُوح<sup>(٢)</sup>

(٢)

\* وقال آخر :

إلى الشمس المنيرة حين تبدؤ  
غداة الدجّن<sup>(٣)</sup> من بين الغيوم  
من الصبّ الكئيب أخى التصابى  
حليف الشوق مُحْتَبَسِ الغُوم

(١) الغروب - بفتح الفين : الدلو .

(٢) السبت : السيدة ، وجمعها سبات ، وهي مولدة وقد يراد بها يا ست جهاتى !

(٣) الدجّن : لباس الغيم الأرض وأقطار السماء ، ويقال . يومٌ دجّن ، ويوصف به فيقال : يومٌ دجّن .

(٣)

\* وقال آخر :

مِنَ الدَّنْفِ<sup>(١)</sup> الَّذِي يُضْحِي حَزِينًا  
وَيَبِينُ ضُلُوعَهُ قَلْبَ مُصَابٍ  
إِلَى الخَوْذِ الَّتِي أَبْلَتْ شَبَابِي  
فَأَضْحَى مَا يَسِيغُ لِي الشَّرَابُ<sup>(٢)</sup>

(٤)

\* وقال آخر :

مِنِّي إِلَى قَلْبِي ، وَلَمْ أَرْكَاتِبَا  
يَخْطُ بِأَقْلَامٍ إِلَى قَلْبِهِ قَبْلِي  
أَرَى كُلَّ شَيْءٍ بِأَلْيَا مَتَغَيِّرًا  
وَحُبُّكَ لَا يَبْلَى وَلَكِنَّهُ يُبْلَى

(٥)

\* وقال آخر :

مِنِّي إِلَيْكَ فَإِنِّي هَائِمٌ دَنِفٌ  
أَخُو السَّقَامِ بِرَأْيِ الشُّوقِ وَالْأَسْفِ  
النَّفْسُ ذَاهِبَةٌ ، وَالْعَقْلُ مُخْتَلَسٌ  
وَالْقَلْبُ مُخْتَبَسٌ ، وَالرُّوحُ مُخْتَطَفٌ

(٦)

\* وقال آخر :

مِنِّي إِلَيْكَ فَمَا وَجَدْتَنِي بِمُنْصَرِمٍ  
حَتَّى الْمَمَاتِ ، وَمَا قَلْبِي بِمَعْدُورٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الدنف : الذي ادنفه الحب وامرضه .  
(٢) الخوذ : الشابة الناعمة الحسنة الخلق .  
(٣) بمنصرم : بمنقطع ، ومنته .

ولو رأيتك يوماً لانقضى حزنى  
وعاد عيشي صفواً بعد تكدير

(٧)

\* وقال آخر :

مِنِّي إِلَيْكَ فإِنِّي هَائِمٌ قَلْقُ  
حليفاً هم ، قرين العين بالسهد  
اللهُ يعلمُ ما بالقلب من قَلْق  
إذا نأيت ، وما ألقاه من كمد (١)

... وختاماً !!

(٨)

\* ومما ختموا به رسائلهم :

عليك سلامٌ لاسلامٌ مُودِعُ  
ولكن سلامٌ لم يكن آخر العهد  
سلامٌ مُحِبٌّ خانة حُسنٍ صبره  
فأصبح في كرب الحياة وفي جهد

(٩)

\* وقال آخر :

عليك سلامٌ الله أما قلوبنا  
فمَرْضَى ، وأما ودنا فصَحِيحُ  
نَبِيْتُ بُوْدُ خالصةٍ وصِباةٍ  
ونغدو بِحُبِّ صادقٍ ونروحُ

(١) نأيت : بعدت . والكمد : الحزن .

(١٠)

\* وقال آخر :

عليك سلامُ الله قَدْ مُتْ صَبْوَةٌ

ومالي عِزَاءِ مُدْ نَأَيْتِ (١) ولا صَبْرُ

أرى الصَّبْرَ عنكم كاسْمِهِ مُدْ نَأَيْتُمْ

فقد - وجمال الله - ضاق بي الصَّدْرُ

(١١)

\* وقال آخر،

عليك سلامُ الله قَدِرَ صَبَابَتِي

إليك وشوقى ، إننى مُدْنَفُ الْقَلْبِ (٢)

أَبَيْتُ حَلِيفَ الْهَمِّ وَالْوَجْدِ وَالْأَسَى

رَهِينَ يَدِ الْأَحْزَانِ وَالشُّوقِ وَالْكَرْبِ

(١٢)

\* وقال آخر :

عليك سلامُ الله مَا حَنَ الْفُ

وما اشتاق ذو وَجْدٍ ، وما طلع الفَجْرُ

سلامُ مَشُوقٍ نَحْوَكُم مَتَطَلَعِ

أخي حَسْرَاتِ خَانِهِ فَيَكُمُ الصَّبْرُ



(١) نَأَى : بعد .

(٢) مُدْنَفُ الْقَلْبِ : من أمرضه الحب وأسقمه .

ثالثا : بعض ما كتبه المحبون على الفصوص :

(١)

\* كتب أحد المحبين على خاتمه

مَا عَلَيْنَا مِنْ جُنَاحٍ فِي هَوَى الْبَيْضِ الْمِلَاحِ

(٢)

\* وكتب آخر :

أَحِبُّ مَنْ يَهْوَى وَأَنْى بَرغم مَنْ يَنْهَى

(٣)

\* وكتب آخر :

تحت ثيابى بدنٌ ناحِلٌ وفى فؤادى شغلٌ شاغِلٌ

رابعا : وما نقشه أهل الهوى على خواتمهم :

(١)

\* من كثرت لحظات دامت حسراته :

(٢)

\* من تداوى بدائه لم يصل إلى شفائه :

(٣)

\* من قدم هواه دام أساه :

(٤)

\* العقل عند الهوى أسير ، والشوقُ عليهما أمير .

(٥)

\* إذا كثر الجفاء قل الوفاء .

(٦)

\* مَنْ مَنَعَ مِنَ الْوَصَالِ قَنَعَ بِالْخِيَالِ .

(٧)

\* آفة الحبيب نظر الرقيب.

(٨)

\* آفة الغزل سرعة الملل.

(٩)

\* ذهب الفراق بحيلة العشاق .

(١٠)

\* كأس الهجر أمرٌ من الصبر

(١١)

\* طول الجفاء يكدر الصفاء .

### ✍ خامسا : مداعبات لغوية:

(١)

كان الحسن بن وهب قد تعشق جارية يقال لها : «ناعم» فقلب اسمها ،  
ونقش على خاتمه : «مغان» ، وذكر ذلك في أبيات يقول فيها :  
نَقَشْتُ مُعَانًا، عَلَى خَاتَمِي  
بِكَيْمَاءِ أَعَانَ عَلَى ظَالِي !

كـذا اسمٌ من هام قلبى به

وأصبح فى حالة الهائم

نكستُ الهجاءَ فأعلنته

بطرفى ليخفى على الحازم<sup>(١)</sup>

(٢)

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يحب بعض جوارى القيان ، ثم تنكر لها ، فكتبت على الخاتم لفظاً تُعَرِّضُ له فيه بالعتاب ، فبلغه ذلك ، فكتب على خاتمه ، ضد ما كتبت ، فبلغها ، فمحت ما كان على خاتمها ، وكتبت ضد ما كتب ، فبلغه ذلك ، فمحا ما كان على خاتمه ، وكتب ضد ذلك فى أبيات يقول فيها :

كَتَبْتُ عَلَى فَصِّ لِخَاتَمِهَا	مَنْ مَلَ مِنْ أَحْبَابِهِ رَقْدًا
فَكَتَبْتُ فِي فَصِّي لِيَبْلُغَهَا	مَنْ نَامَ لَمْ يَشْعُرْ بِمَنْ سَهَدَا
فَمَحَتَهُ وَكَتَبْتُ لِتَبْلُغَنِي	مَا نَامَ مِنْ يَهُوَى وَلَا هَجْدَا
فَمَحَوْتُهُ ، ثُمَّ اكْتَتَبْتُ	أَنَا - وَاللَّهِ - لَا كَلِمَتُهُ أَبَدًا

سادسا : ما وُجِدَ مكتوباً على ذيول الأقمصة  
وطُرز الأردية والأكمام :

(١)

\* قال الماوردي : رأيت جارية ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة ، لم اشك أنه عاشق لها ، وإليها مائل لما رأيت من حركاته إذا نظرت ، وسروره إذا نطقت ، وكانت فوق وصف الواصف من الحسن والجمال ، وعليها قميص موشح مكتوب فى وشاح القميص :

(١) نكست ، قلبت .

أَغْيِبُ عَنْكَ بَوْدًا لَا يُغْيِرُهُ  
نَأَى الْمَحَلِّ ، وَلَا صَرَفَ مِنَ الزَّمَنِ  
تَعْتَلَّ بِالشُّغْلِ مَا تَكَلَّمْنَا  
الشُّغْلُ لِلْقَلْبِ ؛ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْبَدَنِ

(٢)

\* وعلى طراز الرِّدَاءِ :  
أَقَلُّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا  
مُحِبُّ قَدِ نَأَى عَنْهُ الْحَبِيبِ

(٣)

\* قال : ورأيت جارية لبعض الهاشميين ، يقال لها : «عَرِيب» عليها قميص  
مُلْحَمٌ ، مُوَشَّحٌ بِالذَّهَبِ ، مَكْتُوبٌ فِي وَشَاحِهِ :  
وَإِنِّي لِأَهْوَاهِ مُسِيئًا وَمُحْسِنًا  
وَأَقْضِي عَلَى قَلْبِي لَهُ بِالَّذِي يَقْضِي  
فَحَتَّى مَتَى رُوحَ الرِّضَى لَا يِنَالُنِي  
وَحَتَّى مَتَى أَيَّامُ سُخْطِكَ لَا تَمْضِي ؟

(٤)

\* قال وعلى طراز كَمِه :  
إِذَا صَدَّ مِنْ أَهْوَى وَأَسْلَمَنِ الضَّنَى  
فَفُرْقَةٌ مِنْ أَهْوَى أَحْرُ مِنْ الْجَمْرِ

(٥)

\* قال : ورأيت على قميص جارية :  
زَفَرَاتِي لَيْسَ تَفْنَى      وَفَوَادِي بِكَ مُضْنَى  
أَتَرْضَىكَ وَأَبْدِي      لَكَ حُسْنًا

بِأَبِي كَمْ أَتَمَنَّى      وَإِلَى كَمْ أَتَمَنَّى ؛  
بَعْدَ مَا أَصْبَحَ قَلْبِي      فِي يَدِ الْأَحْرَارِ رَهْنًا ؛

(٦)

\* قال : ورايت في صدر قميص الجارية «تباريح» الكوفية مكتوبا بالفضة  
والذهب سطرًا وسطرًا :

يَا فَتَى ! قَلْتُ إِذْ دَعَانِي هَوَاهُ  
مَسْتَجِيبًا لَصَوْتِهِ : لَبَّيْكَ  
مَا بَكَتْ مُقَلَّتِي لِفَقْدِكَ إِلَّا  
جَزَعًا أَنْ أَمُوتَ شَوْقًا إِلَيْكَ

(٧)

\* قال : ورايت مكتوبا :

يَارَامِيًا لَيْسَ يَدْرِي مَا الَّذِي فَعَلَا  
أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّ السَّهْمَ قَدْ قَتَلَا  
أَصَبْتَ أَسْوَدَ قَلْبِي إِذْ رَمَيْتَ فَلَا  
شَلَّتْ يَمِينُكَ أَنْ صَيَّرْتَنِي مَثَلَا

(٨)

\* قال : واخبرني بعض اصحابنا قال : اخبرني من رأى في ذيل جارية  
الحسن بن قارن :

أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللَّهُ      وَمَا لَمْ يَخْلُقْهُ  
شَكْوَى فَتَاةٍ وَقَفَّتِي      يَغْشَقُهَا وَتَغْشَقُهَا  
نَارَ الْهَوَى دَانِيَةً      تَحْرِقُهَا وَتَحْرِقُهَا  
يَا حَبِّبُ إِذَا الْحُبُّ إِذَا      دَامَتْ وَدَامَتْ حُرْقُهُ

(٩)

\* قال: وكتبت إحدى الجوارى على وشاح قميصها :

إذا وجدتُ لَهيبَ الشوقِ في كبدِي  
أقبلتُ نحوَ سِقَاءِ القومِ أبترِدُ  
هَبْنِي طفئتُ ببردِ الماءِ ظاهره  
فمن لِحَرِّ على الأحشاءِ يتقدُّ

(١٠)

قال : وكتبت جارية على رداء لها مُمسك :

مَنْ أَلِفَ الحُبَّ بِكِي  
من شفّه الشوقُ شكا  
من غاب عنه إلفه  
أوصدَّ عنه هلكا  
يامالكأ عذبتني  
بجأوره إذ ملكا  
رفقًا بمملوكك ما  
يحلُّ ذا الظلمُ لكأ

سابعاً : ما وجد مكتوباً على العصائب

(١١)

كتبت إحدى الجوارى على عصابتها :

عذبته بالهَجْر مولاہ وزاده شوقاً وأضناه  
فدمعه يجرى على خده ولم تنم للوجد عيناه  
قد كتب الحبُّ على قلبه مت كمداً ، يرحمك الله !

## ثامنا : ما وجد مكتوبا على الستور والوسائد :

(١)

كتب موسى الهادي بن المهدي على ستره

يايها الزاعمُ الذي زعما      أن الهوى ليس يُورثُ السَّقْمَا  
لو أن ما بي بك الغداة لَمَا      لُمتَ مُحِبًّا إذا شكا المَا

(٢)

### \*\* وكتب بعض الظرفاء على مخدة له :

ياراقِدَ الليلِ مِمَّنْ شَفَهُ السَّقْمُ  
وهدهُ قلقُ الأحزانِ والألمِ  
جُدْ بالوصالِ لمن أمسيتَ تملكه  
يا احسنَ الناسِ من قرَنِ إلى قدمِ

## تاسعا : لغة الورد لدى المحبين :

للورد لغة يفهمها المحبون ، ولكل لغة مفرداتها فماذا تعنى تلك المفردات ،  
وتلك الرسائل الوردية ؟

(١)

يقول الشاعر فى البنفسج :

أهدت إليه ،بنفسجًا، يسئليه  
تُنبيه أن بنفسها تَضديه  
فارتاح بعد صبابة وكأبة  
ورجا لحسن الحظ أن تُدنيه

(٢)

ويقول الشاعر فى الآس :

سُرِبَ «الآس»<sup>(١)</sup> الذى أهدت له

ثم لما أهدت الوردَ جَزَعُ

ذاك أن «الآس» باق دائمٌ

ولأن «الورد» حيناً ينقطعُ

(٣)

وفى هذا المعنى يقول أبو دلف :

أرى وُدَّكم كالوردِ ليس بدائم

ولا خيرَ فيمن لا يدومُ له عهدُ

وحبُّى لكم كالآس حُسناً ونُصرة

له زهرة تبقى إذا فنى الورد

(٤)

ويقول عمر بن أبى ربيعة :

إن لى عند كلِّ نَفْحَةٍ رِيحاً

نِ من الجَلِّ أو من الياسمين<sup>(٢)</sup>

التضاتاً وروعة لك أرجو

أن تكونى حَلَّت فيما يلينا

(١) الآس : شجر أبيض الزهر، أو ورديه ، عطري. (٢) الجَلِّ - بفتح الجيم - زهرة عرف الديك .

(٥)

الْوَرْدُ وَالْأَسُّ !

أهدت إحداهن إلى محبوبها «غُصْنِ آس»<sup>(١)</sup> فسُرَّ به وكتب إليها يقول :  
وَالْأَسُّ يَبْقَى ، وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ

وَالْوَرْدُ يَفْنَى ، وَلَا يَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ

(٦)

وأهدت له «وردًا» ، فقال :

أَنْتِ وَرْدٌ وَيَقَاءُ الْـ  
يَذْهَبُ الْوَرْدُ ، وَيَفْنَى  
وَرْدٌ شَهْرًا لَا شَهْرًا  
وَالِى الْآسِ نَصِيرٌ

(٧)

وقد جمع أحد المحبين بين الورد والآس فقال :

وَصَلَّتْ ، وَكَانَ الْوَرْدُ أَوْلَ مَا بَدَأَ      فَلَمَّا تَوَلَّى الْوَرْدُ ، وَلَّتْ مَعَ الْوَرْدِ !  
فِيَا لَيْتَ أَنْ الْوَرْدَ آسٌ فَإِنَّهُ      يَدُومُ عَلَى الْحَالَيْنِ فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ

(٨)

رَدَّ عَلَى مَنْ أَهْدَى سَوْسِنًا !

وأهدى حبيب «سَوْسِنًا»<sup>(١)</sup> فكتب إليه يقول :

يَا ذَا الَّذِي أَهْدَى لَنَا سَوْسِنًا

مَا كُنْتَ فِي إِهْدَائِهِ مُحْسِنًا

أَوْلَهُ : سُوءٌ ؛ فَقَدْ سَاءَنِي

يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَرِ السَّوْسِنَا !

(١) الآس : شجر دائم الخضرة ، بيضى الورق ، أبيض الزهر ، أو ورديه ، عطرى ، وثماره لبية سود ، تؤكل غضة ، وتجفف ، فتكون من التوابل .

(٢) السَّوْسِنُ : نبات معمر ، ينبت فى أوربة ، وبلاد البحر المتوسط . وتعرف بعض أصنافه بجذور الطيب ، لأنها عطرية ، وتختلف لون زهرته الجذابة باختلاف النوع ؛ فمنه الأبيض ، والأزرق ، والأصفر ، والأحمر ، ويطلق على الجميع : الزنبق .

(٩)

شقائق النعمان والورد !

و«شقائق النعمان» نبات أحمر الزهر ، مبقع بنقط سود وله عند العرب  
مكانة ومكان ، وكان اسم هذا النبات «الشُقَّارِي» فلما أحبه النعمان نسبوه إليه  
أما العاشقون فهم لا يحبونه كما يقول أحدهم :

لَا يُحِبُّ الشَّقَائِقَا      كُلُّ مَنْ كَانَ عَاشِقًا  
إِنْ نِصَفَ اسْمِهِ شَقَا      ءَ ، إِذَا فَهَتْ نَاطِقًا

(١٠)

ويعبر أحد المحبين عن مشاعره تجاه «شقائق النعمان» فيقول :

لَا تَرَانِي طُورَ دَهْ      بَرِيْ أهُوَى الشَّقَائِقَا !  
إِنْ يَكُنْ يَشْبِهُ الخُدُو      دَ ، فَنِصْفُ اسْمِهِ : «شَقَا»

(١١)

وأخيرا يرى المحب فى الوردِ خدودًا أضيفت بعضهن إلى بعض ، ولا ينسى  
أبدًا تلك العشيّة التي حيّاه فيها محبوبه بورد ، فيقول :

عَشِيَّة حَيَّانِي بوردِ كَانَهُ

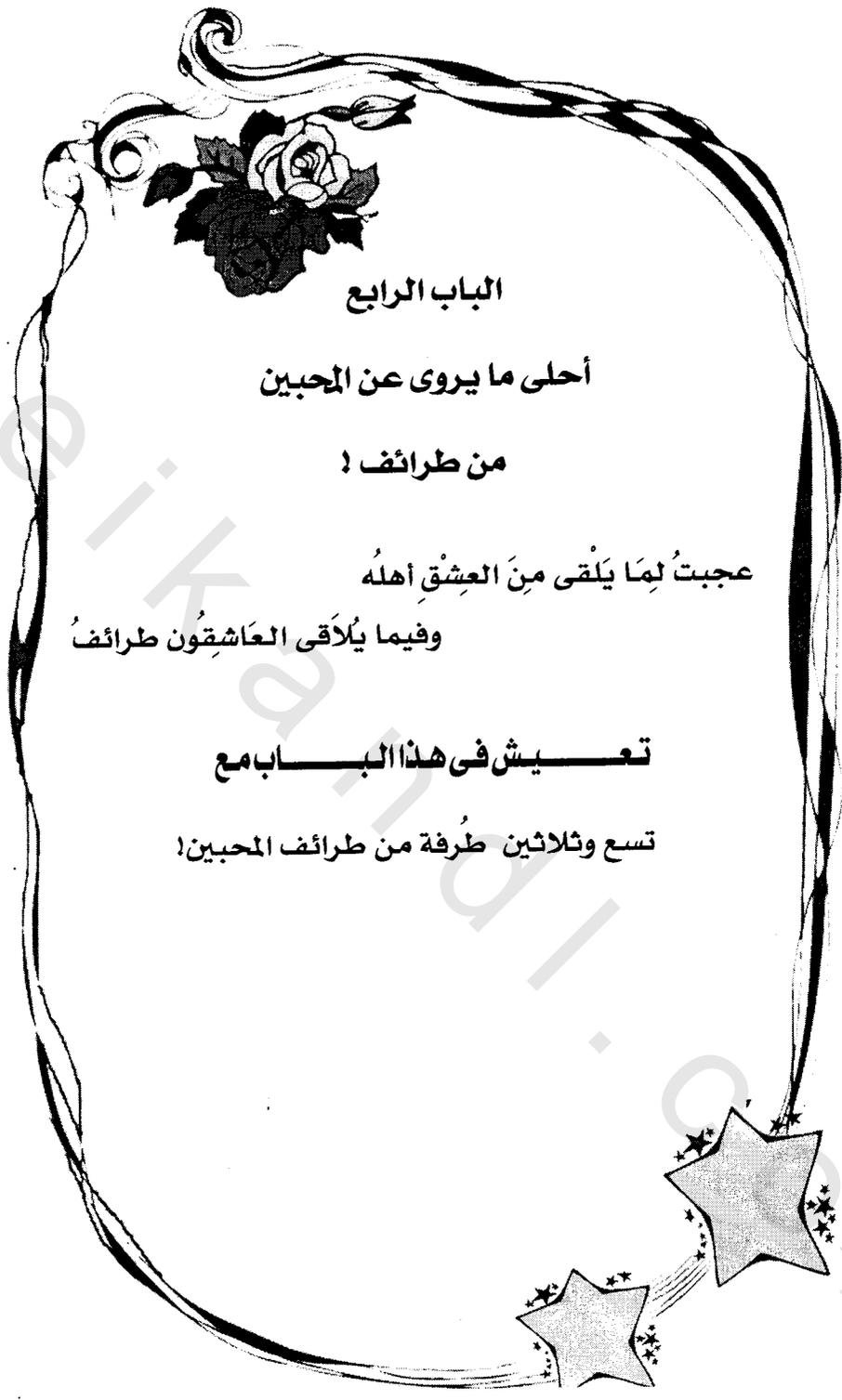
خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعض !

(١٢)

ولا ينسى أحد المحبين أن يقارن بين ورد الحدائق وورد الخدود فيقول :

يَضْحَكُ الوَرْدُ إِلَى وَرْدٍ      دَبِخْدَيْكَ مُقِيمِ  
غَيْرَ أَنْ المِسْكَ أَوْلَى      بِكَ فِي كُلِّ نَسِيمِ

ويعد .. فتعال إلى أحلى ما يُرَوَى عن المحبين من طرائف !



الباب الرابع

أحلى ما يروى عن المحبين

من طرائف !

عجبتُ لِمَا يَلْقَى مِنَ الْعَشَقِ أَهْلُهُ

وفيما يُلَاقِي الْعَاشِقُونَ طَرَائِفُ

تَعِيشُ فِي هَذَا الْبَابِ مَعَ

تسع وثلاثين طرفة من طرائف المحبين !

## نزهة على شاطئ الحب !

(١)

### \*\* الحبُّ والفقْر ! \*\*

\* من طرائف المحبين ما أنشده بعض الأدباء :

وإذا قلتُ لَهَا : جُودِي لِي مَنْ

قد بَرَاهُ الحُبُّ ، قالت لي : أَجَلُ

أنت صَرَافٌ ؛ فأتيتك له

أم بكفيك نُقُودٌ تُحْتَمَلُ

قلت : ما تَهْوِينِ إلا مُوسِرًا

ذا هِبَاتٍ (١) ، وَعَطَاءٍ ، وحُلِّ

فأجابتنِي بصوت مُسْمَعِ :

كُفَّ عَنَّا ، أنت . والله - مُقِلٌ (٢)

أيهَا النَّاسُ ، إلا أَخْبِرْكُمْ !

ليس للحبِّ مع الفقْرِ عَمَلٌ !

(٢)

### \*\* الرُّضَى بِالْقَلِيلِ ! \*\*

من المحبين من يقنع من محبوبه بالقليل ، ولو باللقيا ، والنظرة العجلى ،

وبالمنى ، وبالأمل المرجوَّ خاب آمله ، وبلا ، فكل شيءٍ من المحبوب جميل !

\* ويقول المتبى :

وَقَنَعْتُ بِاللِّقْيَا ، وأولِ نظرةٍ

إن القليلَ من الحبيبِ كثيرٌ !

(١) ذاهيات : صاحب أعطيات وكرم .

(٢) مُقِلٌّ : قليل المال فقير ، أو بخيل .

\* ويقول الموصلي :

إِنَّ مَاقَلَ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي

وقليلٌ مِمَّنْ يُحِبُّ كَثِيرًا

\* ويقول جميل :

وَإِنِّي لَيُرْضِينِي قَلِيلٌ نَوَالِكُمْ

وإن كنتُ لا أرضى لكم بقليل

\* ومثله لتوبة :

وَأَقْنَعُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَا لَهُ

ألا كلُّ ما قرئتُ به العينُ صالحُ

\* ويقول آخر :

جُودُوا عَلَيَّ بِمَنْطِقِ أَحْيَا بِهِ

إن القليلَ من المحبِّ كثيرُ

(٣)

### \*\* سيبويه المغربي \*\*

\* لسيبويه المغربي بيتان في الغزل يحملان الطابع النحوي فيقول :

عَدَبْتُ قَلْبِي بِهَجْرٍ مِنْكَ مُتَّصِلٍ

يامن هواه ضميرٌ غيرُ مُتَّفَصِّلٍ

ما زال من غيرِ تأكيدٍ صُدُودُكَ لِي

فما عُدُوتُكَ مِنْ عَطْفٍ إِلَى بَدَلٍ؟

وهو كما ترى يشير إلى الضمير المتصل والمنفصل ، كما يشير إلى ثلاثة من

التوابع هي : التأكيد والعطف والبدل .

(٤)

### \*\* قد بلغ العشق منتهاه! \*\*

من منا لم يعشق ذات يوم ، ولم يبلغ العشق به منتهاه ؟  
ولكن .. ماذا بعد أن يبلغ منتهاه ؟

قال «أبو العز المظفر الأعمى» دخلت على الملك الكامل فقال لى : أجز هذا  
النصف من البيت (أى : أكمله) :

قَدْ بَلَغَ الْعِشْقُ مَنْتَهَاةُ

فقلت : ومادرى العُشاقُ ما هو ؟

فقال : وَلَمَّا غَرَّهْمُ ذُهُولَى

فقلت : هَامُوا بِهِ ، وَتَاهُوا

فقال : وَلى حَبِيبٍ يَزْعَى هَوَاىَ

فقلت : وما تَغَيَّرتْ عن هَوَاهُ

فقال : رِياضَةَ النَفْسِ فى اِحْتِمَالِ

فقلت : وَرَوْضَتَهُ الحُسْنُ فى حِلَاةِ

فقال : اسْمَرُ لَدُنْ القَوَامِ ألى (١)

فقلت : يَعْشَقُهُ كُلُّ مَنْ يَرَاهُ

فقال : لَيْلَتُهَا كُلُّهَا رِقَادُ

فقلت : وليلتى كُلُّها انتِباة !

وترى أن مظفر الدين قد أكمل البيت بما قد يجافى السلطان «الملك  
الكامل» رحمة الله عليه :

(٥)

### \*\* شاعر يتغزل فى مُسْحَرَة! \*\*

فى القرن الثامن الهجرى راينا شاعرا يتغزل بمن كانت تقوم بعمل  
«المُسْحَرَاتى» ، وتوقظ الناس من نومهم لِيَتَسَحَّرُوا !  
(١) اللى : سمرة محببة فى الشفاء :

ويصفها بأنها «شمس» تطلع وقت السحور ويعجب من أولئك الذين تطلع عليهم ، كيف يأكلون والشمس طالعة !؟  
إنه يقول :

عجبتُ في رمضان من مُسْحَرَةٍ  
قالت ، ولكنها في قولها ابتدعت !  
«تَسَحَّرُوا يا عبادَ الله» ! ، قلت لها :  
كيف السحور ، وهذي الشمس قد طلعت !؟

(٦)

### \*\* أفتنأ في قوائل الأحداق ! \*\*

«أبو بكر محمد بن داود الظاهري» كان فقيها أديبا شاعرا ظريفا !  
ويحكي «ابن أبي الدنيا» أنه حضر مجلس «محمد» المذكور قال : فجاءه رجل ، فوقف عليه ، ورفع له رقعة ، فأخذها وتأملها طويلا ، وظن تلامذته أنها مسألة !

ثم قلبها ، وكتب على ظهرها ، وردّها إلى صاحبها ، فنظرنا ، فإذا الرجل «على بن العباس» المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور، وإذا في الرقعة :

يا بن داود يافقيه العراق  
أفتنأ في قوائِلِ الأحداقِ  
هل عليهنّ في الجروح قصاصُ  
أم مُباحٌ لها دمُ العُشّاقِ !؟

وإذا الجواب من نفس بحر البيتين السابقين (الخفيف) :

كيف يُفتيكم قتلُ صريعٍ  
بسهمِ الفِراقِ والاشتياقِ !؟  
وقتلُ التّلاقِ أحسنُ حالاً  
عند «داود» من قتلِ الفِراقِ !

**\*\* بيت يدعيه كل من سمعه ! \*\***

«يعقوب بن عبد الرحمن المخزومي» شاعر مكة ، وصاحب «عمر بن أبي ربيعة» نظم قصيدة منها هذا البيت :

هل تعلمين وراء الحُبِّ منزلةً تُدنى إليكِ ، فإن الحُبَّ أقصانى !

\* وما أن سمعه «ابن أبي مرة» شاعر المدينة حتى ادعاه لنفسه ، وبعث به

إلى بعض أدباء مكة مع بيت آخر ، فقال

هذا كتابُ فتى طالت بليئتهُ

يقول : يا مُنتهى بئى وأحزانى

هل تعلمين وراء الحُبِّ منزلةً

تُدنى إليكِ ، فإن الحُبَّ أقصانى

فوجهوا بهما إلى «عامل المدينة» وأطلعوه على سرقة للبيت الثانى ، فأذبه

على سرقة .

\* ثم جاء بشار بن بُرد ، فادعاه لنفسه فى قصيدة غزلية ثم بعث به إلى

قيِّنةٍ كان يهواها فقال :

هل تعلمين وراء الحُبِّ منزلة

تُدنى إليكِ فإن الحُبَّ أقصانى !

فكتبت إليه تقول :

نعم أقول : وراء الحُبِّ منزلة

حُبِّ الدنانيرِ ، يُدنى كلُّ إنسان !

من زاد فى النِّقْدِ زدنا فى مَوَدَّته

لا نبتغى - الدهرَ - إلا كلُّ رُجحان !

\* حتى إذا كان العصر الحديث شطر الأستاذ طاهر الطناحى هذا البيت

فقال :

«هل تعلمين وراء الحُب منزلة»

أو مثل ما أشتكى شكوى لإنسان ١٩

لَهْفِي عَلَى سِنَّةِ فِي اللَّيْلِ حَالِمَةٍ

تُدْنِي إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّ الْحُبَّ أَقْصَانِي ٢٠

(٨)

### \*\* تَذْكَرَةٌ - «تشخيص حالة» \*\*

وهنا يصف «من هو عالم بأحوال الهوى» أعراض الحب لمرضى مُدْنَفٍ  
اشتد مرضه وأشفى على الموت) ، وحرار أطباؤه فيه ، فيقول :

يَأْيُهَا الدَّنْفُ المَعْدَبُ بِالْهَوَى

إِنِّي بِأَحْوَالِ الْهَوَى لَعَلِيمٌ

الْحُبُّ صَاحِبُهُ يَبِيْتُ مُسَهَّدًا

وَيَطِيرُ عَنْهُ فُؤَادُهُ ، وَيَهِيمُ

الْحُبُّ دَاءٌ قَدْ تَضَمَّنَ فِي الْحَشَا

بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالضُّلُوعِ مُقِيمٌ

الْحُبُّ لَا يَخْفَى ، وَإِنْ أَخْفَيْتَهُ

إِنَّ الْبُكَاءَ - عَلَى الْمَحَبِّ - نَمُومٌ (١)

الْحُبُّ : فِيهِ حَلَاوَةٌ وَمَرَارَةٌ

وَالْحُبُّ فِيهِ شَقَاوَةٌ ، وَنَعِيمٌ

الْحُبُّ : أَهْوَنُ مَا يَكُونُ مُبْرَحٌ

وَالْحُبُّ أَصْفَرُ مَا يَكُونُ عَظِيمٌ



(١) ينم على المحب ، ويكشف أمره ، ويظهر ما كان خافيا . ونموم صيغة مبالغة على وزن فَعُول  
كصَبُور ، وكذُوب ١

(٩)

**\*\* وتذكرة - علاج \*\***

هذه «تذكرة» حررها شعرا طبيب مداو ، له فى الحب تجربة !  
وإذا كنا نسأل المجرب ، ولا تنسى الطبيب المعالج فما بالناس بمن كان طبيبا  
مجريا ؟!

إنه يقول :

مَنْ سَأَلَ عَنكَ فِاسَلُهُ  
لَكَ فِى النَّاسِ مِثْلُهُ  
لَا تَقُولَنَّ : لِمَ ، وَرُبَّمَا  
وَعَسَى سِى ، أَوْ لَعَلَّهُ  
فَالْعَسَى يَعْقِدُ الْهَوَى  
وَالتَّوَعُّزَى يَحُلُّهُ  
كُلُّ حَبِّ إِذَا انْقَضَى  
بِعَضُّهُ ، هَانَ كُلُّهُ

(١٠)

**\*\* مصاحبة المحبوب على الدوام \*\***

وَمَنْ عَجِبَ أَنَّى أَحْبَبَ إِلَيْهِمْ  
وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ وَهُمْ مَعى !  
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنى وَهُمْ فِى سَوَادِهَا  
وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبى ، وَهُمْ بَيْنَ أَضْغَعى !

(١١)

### قرب المحبوب من الروح !

يامُقيماً في خاطري وجناني  
ويعيداً عن ناظري وعياني !  
أنت روحى إن كنت لَسْتُ أراها  
فهي أدنى إلى من كل داني

(١٢)

### حضور المحبوب عند المحب دائماً !

خيالك في عيني ، وذكرك في فمي  
ومثواك في قلبي ، فأين تغيب ؟

(١٣)

### قرين السوء !

ضاق أحد الأزواج بزوجه ذرعاً ، وعجزت وسائله عن إصلاح ما بينه وبينها  
فقال فيها :

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي  
ولكن قرين السوء باقٍ مُعمَّرُ  
فيأليتها صارت إلى القبر عاجلاً  
وعذبها فيه تكبيرٌ، ومُنكرُ

(١٤)

**\*\* لفت نظر! \*\***

كانت لأحد الشعراء تجربة قاسية مع من وقع نظره عليها فأحبها ، ولكنها ردتته ؛ فقال فيها :

جاريةٌ أعجبها حُسْنُهَا      ومثلها في الناس لم يُخْلَقْ  
خَبَرْتُهَا أَنِي مُحِبٌّ لَهَا      فأقبلت تضحك من مَنْطِقِي  
والتفتت نحو فتاة لها      كالرِشَا الوَسْنَانِ فِي الْقُرْطُقِ<sup>(١)</sup>  
قالت لها : قولى لهذا الفتى :      انظر إلى وجهك ، ثم اعشق !!

(١٥)

**\*\* المحبُّ بين الحذر والنظر! \*\***

يُحْكِي أَن أَحدهم مَرَضٌ محبوبه فعاذه ، فمرض من وقته !  
فعوفى محبوبه ، فجاء يعوده ، فلما رآه عوفى من وقته وأنشد :  
مَرَضِ الحَبِيبِ فَعُدَّتْهُ  
فمرضت من حَذَرِي عليه (٢)  
وَأَتَى الحَبِيبُ يَعُودُنِي  
فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ !

(١٦)

**\*\* حب شفهي! \*\***

تزوج «زهير بن مسكين الفهري» جارية ، ولم يكن عنده ما يُرضيها به ، فلما أمكنته من نفسها ، لم ترعنده ما ترضى به ، فذهبت ، ولم تعد !  
فقال في ذلك شعرا :

تقول - وقد قبَلْتُهَا الْفَقْبِلَةَ  
كفأك ! أما شيءٌ لَدَيْكَ سِوَى الْقَبْلِ !؟

(١) الرِشَا : الغزال . الوَسْنَان : الناعس . الْقُرْطُق : القُرْط .  
(٢) في رواية أخرى : من وجدى عليه .

فقلت لها : حُبَّ على القلبِ حفظه  
وطولُ بكاءِ تَسْتَفِيضُ له المُقْلُ  
فقالت : لعمْرُ الله ؛ ما لذةُ الفتى  
من الحُبِّ في قولٍ يخالفه الفعلُ

(١٧)

### \*\* تجربة زوج اثنتين ! \*\*

قيل لأعرابي : من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ؛ فتزوج امرأتين  
فقدم على ما فعل ؛ وقال :

تزوجتُ اثنتين لَضْرَطٍ جهلى  
بما يشقى به زوجُ اثنتين !  
فقلت : أصيرُ بينهما خروفاً  
أنعمُ بين أكرمِ نَجْجَتَيْنِ !  
فصرتُ كنعجةٍ تُضْحِي وتُمْسِي  
تَدَوَّالُ (١) بين أخبثِ ذئبتين !  
رضا هذى يهيجُ سُخْطَ هذى  
فما أعزى من احدى السُّخْطَتَيْنِ  
وألقى فى المعيشة كُلَّ ضُرِّ  
كذلك الضُّرْبَيْنِ الضُّرَّتَيْنِ  
لهذى ليلة ، ولتلك أخرى  
عتاب دائم فى الليلتين (٢)

(١) أى تتداول ، وتتأوبها ذئبتان وتتداولانها . (٢) الأمالى ؛ لأبى على القالى .

(١٨)

**\*\* والتقىنا كما اشتهينا ! \*\***

يقول الشريف المرتضى :

ضنَّ عَنِّي بِالنَّزْرِ إِذْ أَنَا يَقْظَا

نُ ، وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِي الْمَنَامِ

والتقىنا كما اشتهينا ولا عيذ

بِأَسْوَى أَنْ ذَاكَ فِي الْأَحْلَامِ

وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَاقَاةَ لَيْلًا

فَاللَّيَالِي خَيْرٌ مِنَ الْأَيَّامِ

\* وهذا من قول أبي تمام :

اسْتَزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ

فَاتَانِي فِي خُفْيَةٍ وَاکْتَتَمِ

يَا هَهَا زُورَةٌ تَلْدَنْتِ الْأُزَّ

وَاحٌ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ

مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ

غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ (١)

(١٩)

**\*\* مُزَاحٌ وَدَلَالٌ ! عَلَى طَرِيقَةِ الْفُقَهَاءِ ! \*\***

قال الشافعي رضي الله عنه :

تزوجت امرأة من قريش بمكة ، وكنت أمازحها فأقول :

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ تُحِرَّ      بَأَفْلا يُحِبُّكَ مِنْ تُحِبُّهُ

فتقول هي :

وَيَصُدُّكَ عَنْكَ بِوَجْهِهِ      وَتُلِحُّ أَنْتِ فِلا تُغِبِّيهِ (٢)

(١) وفيات الأعيان ج ٣ .

(٢) في بعض النسخ : « وتلح أنت فلا تغبيه » ، والإغياب : الترك ؛ أي فلا تتركه !

(٢٠)

**\*\* بأبي من زارني! \*\***

الشاعر «أبو الحسن على بن جبلة» المشهور بالعكوك أحد فحول الشعراء  
المبّرزين ، يقول فيه الجاحظ كان أحسن خلق الله إنشادا ، ما رأيت مثله بدويا  
ولا حضريا ، وكان من الموالي ، ووُلد أعمى ، وكان أسود أبرص ، ومن مشهور  
شعره :

بأبي من زارني مَكْتَبِمَا

خائفا من كل شئ عَجَزَمَا

زائرا نم عليه حُسْنَه

كيف يُخْفِي الليلُ بدرًا طَلَعَا؟

رصد الغفلة حتى أمكنت

ورعى السامر حتى هجعَا

ركب الأهوال فى زورته

ثم ما سلم حتى ودعَا!

(٢١)

**من العجائب!**

\* حجة الإسلام «الغزالي» يُروى له شعر ، فمن ذلك ما نسبه إليه الحافظ  
«أبو سعد السمعاني» فى «الذيل» وهو قوله :  
حَلَّتْ عقاربُ صُدُغِه (١) فى خَدِه  
قمرًا فجَلَّ بها عن التشبيه  
ولقد عهدناه يحلَّ ببُرْجِها  
فمن العجائب كيف حَلَّتْ فيه ؟

\* ويقول ابن خلكان :

ورأيت هذين البيتين فى موضع آخر لغيره ، والله أعلم .

(١) يشبهون الشعر الملتوى على الخدين بعقارب الصُدغ ، وبالواوات ، ويقولون : هذه الواو فى  
الكلام أحسن من واوات الأصداغ على خدود الملاح !

(٢٢)

### أيعشق الإنسان ما لا يرى ؟

\* الشاعر «أبو العز موفق الدين المصري» له ديوان شعر رائع ، وكان  
ضريرا ، فمن شعره :

قالوا : عَشِقْتَ وَأَنْتَ أَعْمَى

ظَنَيْتَ كَحَيْلِ الطَّرْفِ أُمَى (١)

وَحُلَاهُ مَا عَايَنْتَهَا

فَتَقُولُ : قَدْ شَغَلَتْكَ هَمًّا

وَخِيَالُهُ بِكَ فِي الْمَنَا

م ، فَمَا أَطَافَ ، وَلَا أَمَا

مَنْ أَيْنَ أَرْسَلَ لِلْفُؤَا

دِ - وَأَنْتَ لَمْ تَنْظُرْهُ - سَهْمًا

وَيَأَى جَارِحَةَ وَصَلْ

ت لوصفه نثرًا ونظمًا ؟

فَأَجَبْتَ : إِنِّي مُوسَى

وَيَ الْعِشْقِ : إِنْصَاتَا وَفَهَمَا

أَهْوَى بِجَارِحَةِ السَّمَا

ع ، وَلَا أَرَى ذَاكَ الْمَسْمَى

(٢٣)

\* وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإن هذه الأبيات تذكرنا بقول ضريير آخر:

وغادةٍ قالت لأتربها : يا قوم ، ما أعجب هذا الضريير ؟

أيعشق الإنسان ما لا يرى ؟ فقلت - والدمع بعيني غزير - :

إن لم تكن عيني رأت شخصها فإنها قد مثلت في الضمير

\* ومن قبلهما قال بشار :

يا قوم ، أذنى لظني الحى عاشقة

والأذن تعشق قبل العين أحيانا (٢)

(١) اللَّمَى : سمرة محببة في الشفتين ، وهو ألمى ، وهى لمياء !

(٢) ويروى \* يا قوم ، أذنى لبعض الحى عاشقة \* وقد تقدم الكلام فى بشار.

## نادرة طريفة !

حكى «ابن خلكان» إنه كان بأصبهان رجل حسن النعمة كامل المروءة يقال له: «سماك بن النعمان» وكان يهوى واحدة من أهل «أصبهان» لها قدر تعرف بأُم عمرو. فلإفراط حبه إياها ، وصبابته بها ، وهبها عدة من ضياعه ، وكتب عليه بذلك كُتُبًا ، وحمل الكتب إليها على بغل فشاع الخبر بذلك ، وتحدث الناس به واستعظموه !

وكان بـ «أصبهان رجل متجلف بين الركاكة يهوى أخرى فلما اتصل بها ظن أن «سماكا» إنما أهدى إلى «أم عمرو» «جلودا بيضا» لاكتابة (١) فيها ، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن ، ويجل موقعها عند من يهواها، فابتاع جلودا كثيرة، وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية «سَمَاك» فلما . وقفت على الخبر فيها تفيظت عليه ، وكتبت إليه رقعة تشتمه ، وتحلف أنها لا تكلمه أبداً، وسألت بعض الشعراء أن يعمل لها أبياتا فى هذا المعنى لتودعها ردها عليه ، ففعل ، وكانت الأبيات :

لا عادَ طَوْعَكَ مَنَ عَصَاكََا	وَحُرِّمَتْ مَنَ وَصَلَى مَنَاكََا
فلقد فضحت العاشقي	بن بقبح ما فعلت يداكا
أرايت من يهدى الجُلو	ذ إلى عشيقته سواكا ؟
وأظن أنك رُميت أن	تحكى بفعلك ذا سماكا
ذاك الذى أهدى الضُّيا	عَ لَأُمِّ عَمْرٍو وَالصَّكََاكََا
فبعثت منتنة كاذ	ك قد مسحت بهن فاكَا
من لى بقربك يارقى	عُ ، ولست أهوى أن أراكَا
لكن لَعَلَى أَن أَقْطَ	عَ مَا بَعَثْتَ عَلَى قِصَاكََا!

(١) لازخارف.

(٢٥)

### لك جسمي تَعْلَهُ !

«سيف الدولة الحمداني» ، يقول عنه أبو منصور الثعالبي : كان بنو حمدان ملوكا أوجههم للصبّاحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة !

ويحكى أن ابن عمه أبا فراس كان يوما في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة : أيكم يُجيزُ قولي ، وليس له إلا سيدي ، يعني أبا فراس :

لك جسمي تَعْلَهُ فِدَمِي لِمَ تُحِلُّهُ ؟

فارتجل أبو فراس قائلا :

إن كنتُ مَالِكًا فَلِي الْأَمْرُ كُلُّهُ

فاستحسنه سيفُ الدولة ، وأعطاه ضيعة بأعمال منبج تغلّ ألفي دينار في كل سنة !

(٢٦)

### \*\*\* ..... وكنت أُعيرُها بالسواد ! \*\*\*

\* «نجم الدين أبو يوسف يعقوب بن صابر» الشاعر المشهور كان متقدما في صناعة «المنجنيق»<sup>(١)</sup> وما يتعلق به ، وكان يقول الشعر ، ويقول في ذلك :

كَلِفْتُ بَعْلَمَ الْمَنْجَنِيقِ وَرَمِيهِ لَهْدَمِ الصِّيَاصِي<sup>(٢)</sup> ، وافتتاح المرابط  
وعدت إلى نظم القريض لشقوتي فلم أخلُ في الحالين من قصد حائط

\* وأنشد في جارية سوداء كان يهواها ، وهي جارية حبشية :

وجارية من بنات الحُبُوش

ذاتُ جِضُونٍ صِحَاحِ مِرَاضٍ

(١) آلة لرمي الحجارة . (٢) الصياصي : الحصون . مفردها : صيصة .

تَعَشَّقَتْهَا لِلتَّصَابِي فَشَبْتُ  
غَرَامًا ، وَلَمْ أَكْ بِالشَّيْبِ رَاضٍ  
وَكَنتُ أَعْيَرُهَا بِالسَّوَادِ  
فَصَارَتْ تُعَيِّرُنِي بِالبَيَاضِ

(٢٧)

**\*\* من العجيب ! \*\***

الشريف ابن عبيد الله كان رئيسا جوادا كثير الإحسان ، وله شعر جاء فيه :

قالوا : سلا ؛ صدَّقُوا عن السُّ  
لوانِ ليسَ عَنِ الحَبِيبِ  
قالوا : فليَمْ تَرَكَ الرِّبَا  
رَّةٌ ؟ قلتُ : من خِوْفِ الرِّقِيبِ !  
قالوا : وكيف تَعِيشُ مع  
هذا ؟ فقلتُ : من العَجِيبِ !

(٢٨)

**\*\* ملحة لبعض الحجازيين <sup>(١)</sup> \*\***

خَبَّرُوهَا بِأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ  
تُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الغَيْظَ سِرًّا  
ثم قَالَتْ لِأَخْتِهَا ولِأُخْرَى  
جَزَعًا : لِيَتَّهَ تَزَوَّجَ عَشْرًا !  
وأشارت إلى نِسَاءِ لَدَيْهَا  
لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلسُّتْرِ سِتْرًا :  
مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي  
وعِظَامِي كَانَ فِيهِنَّ فَتْرًا <sup>(٢)</sup>  
من حَدِيثِ نَمَى <sup>(٣)</sup> إِلَى فُطَيْعِ  
خَلَّتْ فِي القَلْبِ من تَلْظِيهِ <sup>(٤)</sup> جَمْرًا !

(١) انظر ديوان الحماسة بشرح التبريزي ٣٩٨/٢

(٢) فترا ، فتورا ، واسترخاء في الأعضاء والمفاصل حتى كأنها لا تكاد تقوى على حملي ؛

(٣) نمى إلى ، وصل إلى علمي وبلغني .

(٤) تلظيه ، توقده .

(٢٩)

**\*\* طيف الخيال ؛ وشباك المحب ؛ \*\***

طيف الخيال : رؤيا العين في المنام !

ولقد تفتن فيه الشعراء والمحبون فكانت لهم طرائف مع الطيف !

\* يقول أحدهم :

نَصَبْتُ جَفُونِي لِلخِيَالِ حَبَائِلًا

لَعَلَّ خِيَالَاً فِي الكَرِيِّ مِنْهُ يَسْمَعُ<sup>(١)</sup>

وكيف إذا أغمضتُهُنَّ بصيدهِ

ومن عادة الأشرك للصيدِ تَفْتَحُ !

\* ويقول الشاعر كشاجم :

لَقَدْ بَخِلْتُ حَتَّى بِطَيْفٍ مُسَلِّمٍ

على ، وقالت : رحمةً لِنَحِيبِي

أخاف على طيفي إذا جاء طارقاً

وناداك ، أن يلقاهُ طيفُ رقيبي !

(٣٠)

**\*\* طعم الهجر ؛ \*\***

\* سئلت إحداهن :

كيف وجدتِ طعمَ الهجر ؟

فقالت : لولا مرارة الهجر ، ماعرفت حلاوة الوصلِ

ومن ذمَّ بدءَ الغضب ، حمدَ عاقبةَ الرضا !

(١) الحبائل : جمع حباله ، وهي شبكة الصياد . والكرى : النوم .

(٣١)

**\*\* يا قلبها ! أحديد أنت أم حجر؟ \*\***

\* ويقول المؤمل وأحسن :

إني قُتلتُ بِلَا جُرْمٍ ، وَقَاتِلْتِي      يا قوم جاريةٌ في طرفها حَوْرٌ<sup>(١)</sup>  
لَمَّا رَمَتْ مُهْجَتِي قَالَتْ لِحَارَتِهَا :      إني قَتَلْتُ قَتِيلًا مَالَهُ خَطَرٌ<sup>(٢)</sup>  
قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍ      فإله يعلم ما ترضى بذا مُضَرٌ  
شكوتُ ما بي إلى هند فما اكَثَرْتُ      يا قلبها ! أحديد أنت أم حَجَرٌ؟<sup>(٣)</sup>  
إن كنتِ جاهلةً بِالْحَبِّ فإنْطَلِقِي      إلى القُبُورِ ففيمَن حَلَّهَا عِبْرًا

(٣٢)

**\*\* الرشيد وجارية له ! \*\***

\* كان الرشيد قد هجر جارية<sup>(٣)</sup> له اسمها «ماردة» ، ونفسه بها متعلقة ،  
وكان يتوقع أن تبدأه بالترضى ، لكنها لم تفعل حتى أقلمته ، وأرقتة ، وبلغ ذلك  
الشاعر : العباس بن الأحنف فقال :

صدت مغاضبة وصد مغاضبا  
وكلاهما مما يعالج متعباً  
راجع أحببتك الذين هجرتهم  
إن المتئيم قلمما يتجنب  
إن التجنب إن تطاول منكما  
دب السلولة فعز المطلب

\* وبعث إليها بالأبيات ، وبعث إليه بيتين آخرين وهما :

لأبد للعاشق من وقفة

تكون بين الوصل والصَّرم<sup>(٤)</sup>

(١) الحور شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها .  
(٢) لا شأن له . (٣) الأغاني : ٥ / ٢٨ . (٤) الصَّرم : القطع ضد الوصل .

حتى إذا الهجرُ تمادى به

راجع مَنْ يهوى على رُغم

فاستحسن الرشيد إصابته حاليتها ، وقال : أراجعها - والله - مبتدئا على رُغمي ، وأمر للعباس بصلة سنية ، وأمرت الجارية له بمثلها .

(٣٣)

### \*\* تقاطعا في بيتين ، وتوصلا في بيتين ! \*\*

قال لها ، وقد سلاها ، فراح يكشفها بمشاعره نحوها : ألم تسمعني قول الشاعر :

وكنت أحبكم ، فسلوتُ عنكم

عليكم في دياركم السلام ؟

فقالت : نعم لم أسمعه ، وإنما أذكر قول الشاعر :

تحمل أهلها عنها ، فبانوا

على آثار من ذهب العفاء (١)

فاستحيا منها وندم ، وبدل بالسؤ كلفا بها ووجدا ، فقال أتذكرين قول الشاعر :

وأخضع بالعتبي (٢) إذا كنتُ مذبذبا

وإن أذنبتُ كنتُ أنا الذي أتصلُّ

فقالت : وأذكر أحسن منه :

فإن تقبلوا بالوَد نُقبل بمثله

ونُنزلكم منا بأقرب منزل

فأقبل عليها ، وراح يتودد لها ! فتقاطعا في بيتين ! وتوصلا في بيتين ! .

وما شعر بهما أحد !

(١) تحمل أهلها ، رحلوا . وبانوا ، بعدوا - العفاء ، الزوال .

(٢) العتبي ، الاعتزاز حتى ترضى ، وإزالة أسباب العتاب .

(٣٤)

**\*\* العاشقان وطالب العلم ! \*\***

يحكى أن أحد «طلبة العلم» جلس على جسر بغداد يتتزه ، فأقبلت «فتاة بارعة الجمال» فى جهة الرّصافة إلى الجانب الغربى ، فاستقبلها شاب فقال لها :

- رحم الله «على بن الجهم» .

فقال الفتاة : ورحم الله «أبا العلاء المعرى» .

- وما وقفا بل سارا ، كل فى طريقه !

فتعجب طالب العلم مما سمعه ! ، وقال : فتبعْتُ الفتى ، وقلت له :

والله إن لم تقل لى : ما أردت بآبن الجهم كان لى معك شأن !

قال : أردت به قوله :

عُيُونُ الْمَهَابِينَ الرُّصَافَةِ وَالْجَسْرِ

جَلْبُنُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ نَدْرَى وَلَا نَدْرَى (١)

وعنت هي بأبى العلاء قوله :

فِيَادَارَهَا بِالْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا

قَرِيبٌ ، وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ (٢)

(٣٥)

**\*\* رِيحُ الصَّبَا ! \*\***

«أبو نصر محمد بن عبد الله الأَرغِيَانِي» الشافعى كان إماما مفتيا ورعا ، وسمع الحديث من الواحدى صاحب التفاسير ، وروى عنه فى تفسير قوله

(١) المها : البقرة الوحشية يشبه بها لاتساع عيونها .

(٢) الخيف : اسم مكان فى سفح الجبل .

تعالى : ﴿ إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ ﴾ [يوسف : ٩٤]

أن ريح الصبأ استأذنت ربها - عز وجل - أن تأتي «يعقوب» - عليه السلام- بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص ، فأذن لها ، فأنته بذلك ، فلذلك يستروح كل محزون بريح الصبأ ، وهى من ناحية المشرق إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها ، وهيجت الأشواق إلى الأوطان والأحباب ، وأنشد :

أيا جبلى نَعْمَانُ بِاللَّهِ خَلِيًّا

نسيم الصبأ ؛ يَخْلُصُ إِلَى نَسِيمِهَا

فإن الصبأ رِيحٌ إذا ما تَنَسَّمَت

على نفس مهموم ، تجلَّتْ هُمُومُهَا )

وإذا كان الشيء بالشئ يذكر ، فمن طرائف «ابن الجوزى» أنه كان له زوجة اسمها «نسيم الصبأ» فاتفق أن طلقها ، فحصل له عند ذلك ندم وهيام أشرف منهما على التلف ؛ فحضرت فى بعض الأيام مجلساً وعظه ، فحين رآها عرفها ، فاتفق أن جاءت امرأتان ، وجلستا أمامه ، فحجبتها عنه فأنشد فى الحال :

أيا جبلى نَعْمَانُ بِاللَّهِ خَلِيًّا

نسيم الصبأ إلى نَسِيمِهَا )

(٣٦)

### ذات الخمار الأسود !

قدم تاجر إلى المدينة يحمل من العراق أغطية للوجه فباع الجميع إلا ما كان منها أسود !

فشكا إلى الشاعر «الدارمى» الذى اشتهر بشعره فى الغزل ثم تنسك فى آخر حياته وتعبد ، وتاب إلى الله وأتاب فعلم له بيتين ، وقال له :

عليك بمن يذيعهما فى المدينة وهما :

قل للمليحة فى الخمارِ الأسود

ماذا فعلت بزاهدٍ مُتَعَبِّدٍ !

قد كان شمر للعبادة ذيله

حتى وقفت له بباب المساجد !

فلم تبق في المدينة مليحة إلا اشترت لها خمرا أسود !

(٣٧)

### سيف الدولة وأحدى جواريه !

يحكى أنه كان لسيف الدولة «جارية من بنات ملوك الروم» لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابّة عليها ، فحسدتها سائر حظاياها على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سُمّ أو غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطا على روحها ، وقال :

راقبتني العيون فيك فأشفقتُ

تُ ، ولم أخلُ قطُّ من إشفاقِ

ورأيت العذولَ يحسُدني في

لك مُجداً يا أنفسَ الأعلاقِ (١)

فتمنيتُ أن تكوني بعبيداً

والذي بيننا من الودِّ باقٍ

رُبَّ هجريكونُ من خوفِ هجرٍ !

وفراقٍ يكونُ خوفِ فراقٍ !

(٣٨)

\* ومما أنشده ابن خالويه بحلب لسيف الدولة :

تجنّى على الذنّب ، والذنّبُ ذنبُهُ

وعاتبني ظلّما ، وفي نفسه العتْبُ

ويعد .. فتعال إلى أصدق التجارب التي مر بها محبوبون ..

(١) الأعلاق : جمع علق ، وهو الشيء النفيس .

## الباب الخامس

دموع وابتسامات !

نظرتُ فأقصدتِ الضؤادَ من الهوى  
ثمَّ انثنتُ عنه فظلَّ يهيمُ  
فالموتُ إن نظرتِ ، وإن هي أعرضتُ  
وقع السُّهامُ ونزعهُنَّ أليمُ  
(ابن الرومي)

تعيش في هذا الباب مع

ست وعشرين تجربة عاطفية !

(١)

**\*\* هذا حال العاشقين ، وتلك تجاربهم ! \*\***

\* يقول من جرب الحُب ، ورضى بالواقع :

وَارْحَمْنَا لِلْعَاشِقِينَ !

مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مَعِينًا !

كَمْ يَهْجُرُونَ وَيُظْلَمُونَ

نَ ، وَيُقْطَعُونَ فَيَصْبِرُونَ !

وَتَرَاهُمْ مِمَّا بِهِمْ

بَيْنَ الْبَرِيَّةِ خَاشِعِينَ !

يَتَجَلَّدُونَ ، وَيُظْهِرُونَ

نَ تَجَلُّدًا لِلشَّامِتِينَ !

(٢)

\* أما الجديدُ في دنيا الحُب غيرَ المجربِ ، فيقول متسائلاً :

كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعَيْتَابٌ !

يَنْقُضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِيضَابٌ !

لَيْتَ شِعْرِي ! أَنَا خُصِصْتُ بِهَذَا

دُونَ ذَا الْخَلْقِ ، أَمْ كَذَا الْأَحْبَابِ ؟

(٣)

\* فيردُّ عليه آخرُ قد لاقى ما لاقى في حبه ، فيقول :

أَبَيْتُ كَأَنِّي لِلْكَوَكِبِ عَاشِقٌ

فَأَكْثَرُهُمْ إِنْ تَزُولَ الْكَوَكِبُ

عَجِبْتُ لِمَا يَلْقَى مِنَ الْعَشْقِ أَهْلُهُ

وَفِيهَا يَلْأَقِي الْعَاشِقُونَ عَجَائِبُ

(٤)

\* وهذا مُحبٌّ متفائل سعيد بمحبوبته فى رضاها وغضبها ، فيقول :  
أما زحُّها ، فتغضبُ ثم ترضى  
وكلُّ فعَّالها<sup>(١)</sup> حسنٌ جميلٌ  
فإن تغضب ؛ فأحسنُ ذاتِ دلِّ  
وإن ترض ؛ فليس لها عديلُ

(٥)

\* ومسكينٌ كثيرٌ مع عزة .. إنه يقول لها :  
تجأفَيْتِ عَنِّي حينَ لا أرى حيلةً  
وخلُفتِ ما خلُفتِ بينَ الجوانحِ

(٦)

\* أما مجنونٌ ليلى فقد كان مسيطرا على نفسه يكتم هواه ثم بلغ به الأمر  
أن ردَّد شعره الرائع والغادى ، فيقول :  
قد كنتُ أعلو حُبَّ ليلى فلم يزل  
بى النقصُ والإبرامُ حتى علانياً

(٧)

\* ولحنُ القَوْلِ<sup>(٢)</sup> يعرفه السامع بفحواه دون تصريح ، وهو ممدوح فى  
المحبوب ، ولذا نرى المحب يقول :  
مَنْطِقُ صَائِبٍ ، وتلحنُ أحياناً  
وخير الكلام ما كان لحناً

(١) الفَعَال : بفتح الفاء - الفعل حسنا كان أم قبيحا ، إذا كان من جانب واحد ، وأيضا العمل  
الجيد .

(٢) لحن القول : فحواه ، وما يفهمه السامع بالتأمل فيه من وراء لفظه ! وما يفهم من بين  
السطور .

(٨)

\* وابن المعتز الخليفة الذي لم يمكث في الحكم إلا يوماً يشكو خداع  
المحبيب ، وكذب وعوده فيقول :

كلامه أخدع من لحظه (١)

ووعده أكذب من طيفه !

(٩)

\* وهذا نصيب الشاعر كانت له أمنية ربما ساعدته على رؤية المحبوب  
فيقول :

وددت - ولم أخلق من الطير أننى

أعار جناحى طائر فأطير

(١٠)

\* ومثله ذلك الذى يناجى «سرب القطا لعله يُعير جناحه !

أسرب القطا ؛ هل من يُعير جناحه

لعلنى إلى من قد هويت أطير ؟!

(١١)

\* والعرجى يُسائل ظبيات القاع فى شك فيقول :

بالله يا ظبيات القاع ؛ قلن لنا :

ليلاى منكن ، أم ليلى من البشر ؟

(١٢)

\* وللشعراء من «الملامة فى الحب» موقف :

فأبو الشيص يجدها لذيدة فيقول :

(١) اللحظ : النظر بمؤخر العين من أحد جانبيه .

أجدُ الملامة في هواك لذيدةً  
حُبًا لذكرك فليُكْمِنِي اللُّؤْمُ

(١٣)

\* وأبو الطيب يرى عكسَ هذا ؛ فيقول :  
أحبه وأحبُّ فيه ملامَةً      إن الملامةَ فيه من أعدائه

(١٤)

\* وتَحَارُ الأفكارُ في سببِ الحبِّ ؛ العينُ أم الأذن ؟  
هناك من يقول : العين ، وهناك من يقول : الأذن ؛  
فتعالِ إلى ما انفرد به المحدثون ، وهو قولُ بشار - وقد كان أعمى - حيث  
يقول :

أذنى لبعض نساء الحى مُصْنِغِيَةً  
والأذنُ تعشقُ قبل العينِ أحياناً<sup>(١)</sup>  
قالوا : بمن لا ترى تهذى ؟ فقلت لهم :  
الأذنُ كالعين ؛ توفى القلب ما كانا ؛

(١٥)

\* ويقولون في أمثالهم : «مقتل الإنسان بين فكَيْته» فقد يورده لسانهُ المهالك ؛  
ولكن المحبين لهم رأى آخر فقد يكون مقتله في عينيه ؛  
يقول ابن الرومى :

عيني لعينك حين تنظر - مَقْتَلُ  
لكن لحظك سهم حَتَفِ مُرْسَلُ  
ومن العجائب أن معنى واحداً  
هو منك سهم ، وهو منى مَقْتَلُ

(١) سبق الاستشهاد بهذا البيت ؛ في قصة حب بشار .

(١٦)

\* ويرصدُ ابنُ الرومي سهامَ العين ، ويحدثنا عن وقعها فيقول :

نظرت ؛ فأقصدت <sup>(١)</sup> الضؤاد بلحظها

ثم انثنتُ عنه ، فظل يهيمُ

فالموت إن نظرتُ ، وإن هي أعرضتُ

وقعُ السُّهامِ ، ونزعُهنَّ أليم

(١٧)

\* وعند العتاب يلتمسُ المعتابُ الجوابَ ، فيقول كثيرٌ :

تقولُ : مرضنا فما عُدتُنَا

وكيف يعودُ مريضٌ مريضاً ؟!

(١٨)

\* وليلُ المحبِّ بلا آخر ، فكم شكا المحبون طول ليلهم ، وتقلبهم على

الشوك!

قال ثعلب : ما أحد من الشعراء تكلم في الليل الطويل إلا قارب <sup>(٢)</sup> ، ولكن

خالدًا الكاتب أبدع فيه فقال :

رقدت فلم تَرثُ <sup>(٣)</sup> للساهر

وليلُ المحبِّ بلا آخر

ولم تدر بعد ذهاب الرُّقا

دِما صنع الدَّمعُ بالناظر ؟!

(١) أقصدت : رمت ، وأصابت .

(٢) قارب : أى قارب الوصف ، وأجاد وبلغ الغاية !

(٣) لم ترث : لم ترق ، ولم ترحم .

(١٩)

\* ويقول آخر مثل قول خالد :

كَأَنَّ لَيْلِي كُلَّهُ أَوْلَىٰ فِيهَا ، فَلَا يُقْضَىٰ لَهُ آخِرًا

(٢٠)

\* والمحِبُّ الصادقُ كلما عنت له خِطْرَةٌ من السِّلْوِ رَدَّهُ الحُبُّ الصادقُ عما كان عزم عليه ، وقد أحسن البَحْتَرِيُّ بقوله :

أحنو عليك ، وفي فؤادي لوعة

وأصنّفُ عنك ، ووجهُ وُدِّي مُقبل

وإذا طلبتُ وصالَ غيرك رَدْنِي

ولهُ إِلَيْكَ ، وشافِعُ لكِ أَوْلَا

(٢١)

### النهرُ والبحيرة ١١

قالت : علامَ أرى الغديرَ

أبدا على عَجَلٍ يسيرٍ ؟

مَوْضُوءَةٌ أَنَا تُه

وَشَجِيَّةٌ نَغَمَاتُهُ

أفليس يأخذهُ الملال

أفليس يَرزحُ من كَالال ؟

فأجبتُها : لا تنهلي

من سيره المستعجل

النهر صباً حائرُ

نحو البحيرة سائر

إذ يهفوان وينشدان

ويغبطة يتمازجان

(٢٢)

### بِاللَّهِ قُلْ خَبْرَكَ !

مضت ثلاث ليال لم ير فيها «البهاء زهير» من يحبُّ فقال :

بِاللَّهِ قُلْ لِي : خَبْرَكَ

فلى ثلاث لم أرك !

يا أسبق الناس إلى

مَوَدَّتِي مَا أَخْرَكَ !

وناظري إلى الطَّيرِ

ق لَمْ يَزَلْ مُنْتَظِرَكَ

بين جُفُونِي وَالكَرَى

مُنْذُ غَشِبْتَ مُغْتَرَكَ

كَيْفَ يَا مُعَذِّبِي

قَطَعْتَ عَنِّي خَبْرَكَ

وَمَنْ غَرَامِي كَلِمَا

لَا مَكَ قَلْبِي - عَذْرَكَ

وَحَقَّ عَيْنِيكَ لَقَدْ

نَصَبْتَ عَيْنِيكَ شَرَكَ

وَحَاسِدٍ قَالِ فَمَا

أَبْقَى لَنَا وَلَا تَرَكَ

مَا زَالَ يَسْعَى جُهْدَهُ

يَا ظَبِي حَتَّى نَفَرَكَ !

(٢٣)

### أَحْلَى الْحَوَارِ

لقد كان عتابها أرق من نسيم ، وكان ردةً أحلى من الشهد ، فتواصل ولم

ينقطع حبل الود ! وهكذا يكون الحوار !

قالت : كحلت الجُفُونُ بِالْوَسْنِ

قلت : ارتقبا لطيفك الحسنِ

قالت : تَسَلَيْتَ بَعْدَ فُرْقَتِنَا

فقلت : عن مسكنى ، وعن سكنى

قالت : تشاغلْتِ عن مَحَبَّتِنَا

قلت : نعم بالبكاءِ والحَزْنِ

قالت : تخليت ؛ قلت عن جلدِي

قالت : تغيرتْ ؛ قلت : فى بدْنِي

قالت أذعت الأسرار، قلت لها :

صَيَّرَ سِرِّي هَوَاكَ كَالْعَلْنِ

قالت : سَرَرْتَ الأعداءَ ، قلت لها :

ذلك شيءٌ لو شئتِ لم يَكُنْ !

قالت : فما تروم؟ قلت لها :

ساعة بالسَّغْدِ تسعدنى !

(٢٤)

### بيت شعري شريف !

قال «صالح بن حسان» يوما لمن حوله :

هل تعرفون بيتا شريفاً فى «امرأة خفيرة» (حيية) ؟

قالوا: نعم بيت حاتم ؛ إذ يقول :

يُضِىءُ بِهَا البَيْتُ القَلِيلُ خِصَاصُهُ

إذا هى ليلاً حاولتْ أن تَبَسِّمَما

قال : لم يصف شيئاً .

قلنا : فبيت الأعشى الذى يقول :

كَانَ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا  
مَرُّ السُّحَابَةِ لَارِيثٌ ، وَلَا عَجَلُ

قال : قد جعلها خرجت ، وهذا ضد الخفر !

قلنا : هات ما عندك ...

قال قول «قيس بن الأسلت» وهو من شعراء الجاهلية :

وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرُّنَهَا      وَتَعْتَلُّ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ ؛ فَتَعْتَذِرُ

(٢٥)

أَوَاهُ لَا تُؤْتِئْتَنِي ! «يَالِئْتَنِي !»

لإيليا أبا ماضى حول «ياليت» أبيات ، يقول فيها لمحبوته ! :

إِذَا أَطَلَ الْبَدْرُ مِنْ خِذْرِهِ	فَإِنَّمَا يَطْلُعُ كَيْ تَنْظِرِيهِ !
وَإِذَا شَدَا الْبَلْبَلُ فِي عُشِّهِ	فَإِنَّمَا يَشْدُو لَكِي تَسْمَعِيهِ !
وَإِنْ يَفُحَّ عَطْرُ زُهْورِ الرُّبَا	فَإِنَّمَا يَعْبِقُ كَيْ تَنْشَقِّيهِ !
يَالِئْتَنِي الْبَدْرُ الَّذِي تَنْظِرِينَ !	يَالِئْتَنِي الطَّيْرُ الَّذِي تَسْمَعِينَ !
يَالِئْتَنِي الْعَطْرُ الَّذِي تَنْشَقِينَ !	أَوَاهُ لَا تُؤْتِئْتَنِي : «يَالِئْتَنِي !»

(٢٦)

قالت .... !!

كثيرا ما يدور حوار بين المحب وطيف خيال المحبوب ، ومن أجمل ما قيل :

قالت لطيف خيال زارها ومضى :

بالله صفه ، ولا تنقص ، ولا تزدد

فقال : خَلْفَتْهُ لُومَاتٌ مِنْ ظَمَأٍ

وقلت: قِفْ عَنْ وِرْوَدِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدْ

قالت : صدقت ! «الوفا فى الحب عادته»

يابرد ذاك الذى قالت على كَبِدِي !

أما بعد ... فأرجو أن يكون أشهر قصص العشاق والمتميمين ، وطرائفهم ،  
وتجاربيهم قد أسعدتك وأمتعتك ، ونالت رضاك واستحسانك !! وهذا كل ما  
نرجوه !!

## الفهرس

٣	.....	مقدمة المؤلف
٥	.....	بين يدي الحب !
١٠٨-١٢	.....	الباب الأول
		مشاهير العشاق ومعشوقاتهم!
		[ تسعة عشر عاشقا تضمنتهم مرآة الباب ]
١٣٥-١٠٩	.....	الباب الثاني
		أعجب قصص الحب !
		[ تسع عشرة قصة تضمنها مرآة الباب ]
١٥٦-١٣٦	.....	الباب الثالث
		أروع ما تبادلته المحبوب من رسائل شعرية وعبارات ودية
		[ تسعة ألوان تضمنها مرآة الباب ]
١٧٩-١٥٧	.....	الباب الرابع
		أحلى ما يروى عن المحبين من طرائف !
		[ تسع وثلاثون طرفة ]
١٩٠-١٨٠	.....	الباب الخامس
		دموع وابتسامات !
		[ ست وعشرون تجربة تصور حال عاشقين ]

رقم الإيداع: ٩٩ / ١٩٣٣  
977-277-161-6